

١١٧٧

١١٧٧

لیلی

Eman

[www.liilas.com](http://www.liilas.com)

غیوم الصيف



صادر عن دارم. النحاس

# غيموم الصيف

لم ينس دومينيكو يوماً زوجته ساسكيما التي

تركته وهربت بعدهما فقدت طفلها. بحث عنها

في كل مكان ليعرف السبب الذي دفعها

للهرب، فهو يحبها وما زال حتى الآن، إلى أن

لمحها صدفة في مسرح في فينيس. فتبعها

من مكان إلى آخر حتى وصل إلى منزلها،

لكنه لم يعرف سبب هروبيها أو من الذي تسبب

به إلا بعد تعرض والده لمرض عضال.

لبنان: ٢٠٠٠ ل - سوريا: ١٠٠ ل - الكويت: ٧٥٠ ظل - التجاريين: ١ دينار -  
قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الإمارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١.٥ دينار -  
المغرب: ٨ دراهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار



52-87000-34707-5

# لهم ليلات العجاف

غيموم الصيف

تاهت عينا ساسكيا بلا هواة في بحر  
الوجوه المحيطة بها. أي وجه من تلك  
الوجوه هو وجه دومينيكو؟

اغمضت عينيها الزرقاويين لتركز وتتذكر  
أين كان يجلس. ولكن الأمر لم يجدي  
نفعاً. ثم أدارت رأسها ببطء، رأته حتى  
في الظلمة المكان مثل نار مُستعرة. هكذا  
وجدته لأنّه كان ينظرنحوها. كان يجلس  
في مقصورة شمالي المسرح. مستديراً  
نحوها وليس باتجاه المسرح؛  
لم تستطع رؤية وجهه جيداً، ولكنها لا  
ترغب برؤيته. إنها تعلم ما ستراه حين  
تعود الأضواء.

## الفصل الأول

حين خفت الأضواء في المسرح، ادركت ساسكيا فجأة ان دومينيكو موجود هناك.  
ليس فقط موجوداً، ولكنه رأها أيضاً. وفي لحظة إحساسها بوجوده أحسست بالرغبة العارمة وكأنها أصبت بصاعقة وارتجمت جسدها كله.  
جانبها كان جائيمي تتبّه لذلك واستدار نحوها هامساً: «الم الأسنان ثانية؟»  
زفرت نفسها عميقاً وتنهدت قائلة: «وخر بسيط، انتهى الأمر.»

في الظلمة الزرقاء مع اضواء المسرح الخافت  
لمحت شعر جائيمي البني الأجد ووجهه، بينما  
جائيمي بالكاد كان يرى عينيها الزرقاء وبشرتها  
الناعمة، اخفقت رأسها وانسدل شعرها الذهبي  
ليخفي تعابير وجهها، أرادت إخفاء تعابيرها  
ومشارعها خوفاً من ان تفصح أحاسيسها،  
جائيمي يعرف القليل عنها ولم تكن لتصارحه  
بكل ما يعتريها من مشاعر ولا تريده ان يعرف  
الكثير خصوصاً عن دومينيكو.

اقرب منها جائيمي اكثر وهمس: «متاكدة؟ لدي بعض المهدأت في جنبي إن اردت؟»

هذا هو المميز في طبع جايامي تعاطف الدافىء تجاه أي شخص متألم. لم يستعمل جايامي يوماً أسلوب الكلام بل يترجم تعاطفه افعالاً. رفع رأسها، فبادرته بابتسامة باهتة قائلة: «أنت رائع، شكراً جايامي». سوف اتناول حبتين في الاستراحة الفاصلة».

كانت قد ذهبت الى طبيب الأسنان في وقت سابق هذا النهار لإجراء بعض الإصلاحات على أحد اضراسها الذي ألماها حين قضمت لوزاً محمضاً قدم لها في الفندق الليلة الماضية. امضت ساسكيا الليل مستيقظة متألة. منظم الرحلة أخذ لها موعداً عند طبيب الأسنان في فينيس، بينما الآخرون ذهبوا في رحلوا بالجندول في المرات الصغيرة في المدينة.

تكره الذهاب الى طبيب الأسنان خصوصاً حين تضطر الى حفره لإصلاحه، ولكن أي شيء أفضل من سهر الليل متألة.

سألت الطبيب: «أخبرني، لماذا ألم الأسنان يزداد ليلاً؟»

ضحك ثم نظر إليها ملياً قبل أن يفسر قائلاً: «ليلاً لا شيء يشغل دماغك». ثم ابتسם وقال: «إلا إذا كنت متزوجة». احمرت وجهي ساسكيا فأردف الطبيب قائلاً: «لست مهمتمة أنسستي؟»

«لا..» أكدت له وابتسمت.

«تكلمين الإيطالية بطلاقة».

«شكراً».

من دون ان توضح السبب. منذ سنتين وهي تكذب على الناس وتكره ان تكون مجبرة على ذلك ولكن لا مفر. إن اخبرت أياً كان عن الحقيقة ستوقع نفسها في دائرة الخطر، ولكي تعيش بأمان عليها ان تكذب.

سأله الطبيب: «لا تسكنين في فينيس؟»

حركت رأسها نافية وقالت: «انا هنا فقط لعدة أيام».

قال الطبيب بحماس: «يجب ان تحضري الاوبرا وأنت هنا، هناك مغنية جديدة رائعة في الفينيس هذا الموسم».

«نعم، سياخذونا الليلة لحضورها».

«أه، لا ترافيتا تعرف هناك الآن، إنك محظوظة لرؤيتها في الفينيس هناك، حيث نشأت الأوبرا أتعلمين فيريدي كتبها خصيصاً للفينيس، ولكن لم تتعجب الحضور، ولم تلق نجاحاً أولاً، في فينيس. ولكن الفينيس هو أجمل مسرح في العالم، من القرن السابع عشر أصلًا، رغم أنه أحرق وأعيد بناؤه مع بداية القرن التاسع عشر حتى أنه لا يوجد في لندن مسرح بمثل عمره!»

قالت ماسكينا: اوبرا كوفن جاردن قديمة جداً،  
ايضاً.

حرك رأسه رافضاً: إنه كبير جداً، كثير الزخرفة  
والفخامة، لا أحب المسارح الفخمة، بينما الفينيس  
صغرى، حميم الأجواء، وأنقى».

حين أجالت ساسكينا بنظرها داخل المسرح حين  
وصلت، كان عليها أن تعرف بأن حماسه لهذا  
المسرح مبرر، هندسة المسرح زاهي مذهب ويزيد  
من أناقتة أعمال الجص الرائعة، والأسقف ممتلىء  
بالرسومات.

حين إنتهت مفعول إبرة التخدير التي حقنها بها  
طبيب الأسنان، عاودها الألم مجدداً، ولكنها  
تناولت مسكن للألم بعد ظهر ذلك اليوم.

كانت قد نسيت ما مرت به حتى ذكرها جائيمي  
بالأمر وبدأ الألم يعاودها. فكرت، الألم هكذا، إن  
نسيته يذهب، ولكن لحظة تذكرك له يعود. كانت  
بدأت تنسى دومينيكو خلال الأشهر السابقة،  
والآن عاودها الألم أكثر بكثير من الألم الأسنان  
وأصعب شفاء.

الحضور حولها كان مأخذوا ويدنون مع الأوبرا  
المغناة. الإيطاليون يعلمون كل الكلمات ويحبون  
أن يشاركون المغني بالأداء خصوصاً حين تكون  
أغنية مشهورة وذات لحن جميل ويختلفون بالسهرة

والغناء. حذقت ساسكينا بالإحتفال الحي على  
المسرح. الراقصات تتمايل على المسرح، ولكن  
تفكيرها كان في مكان آخر.

لم يخطر في بالها أن يكون دومينيكو هنا الليلة  
وتخارط بالحضور، في الواقع، لما كانت قدمنت  
إليه فينيس.

دومينيكو مولع بالأوبرا، وذهب إلى لاسكالا في  
ميلانو، عدة مرات. لن يفوت عليه فرصة لحضور  
للتراجفتا، خصوصاً مع صوت نجمة الأوبرا  
فيولتا، ولكنها لم تذكر أنه زار فينيس من قبل.  
بعيداً عن الأوبرا والحفلات الغنائية دومينيكو  
منغمس بعمله. يسافر دائماً إلى أميركا، أو إلى  
أنحاء من أوروبا، زار مناطق أخرى في إيطاليا  
وحيث يكون في المنزل يقيم مأدبة عشاء، ويحضر  
حفلات ولكن هذه الاجتماعات كانت تحمل طابع  
العمل. كل شيء في حياته كان يجب أن يتلامم  
مع أعماله.

حين كانت تطلب منه اصطحابها إلى فيلم  
رومنسي أو مسرحية عاطفية أو إلى عطلة في  
مكان ما مشمس، كان يقول لها دائماً: لا وقت لدي  
للتفاهات، كان لديها إقتناع بأنها تتمثل بالنسبة  
إليه شيئاً تافهاً، طائشة، لعبة انتقاماً كما أراد  
تسلى بها ولم يعد يحتاجها.

دومينيكو كان مهماً بالنسبة لها، او انها لم تكن لتتخيل حياتها من دونه. ولكن حين لم تعد تحتمل الجرح تخلت عنه.  
هناك حدود للحب، ادركت اخيراً بأن هناك حدود للاحتمال باسم الحب.  
لم تره منذ ليلة مغادرتها، تملت لرؤيتها الان وفي نفس الوقت ارتعبت.

أين كان يجلس؟ ليس بقربها، إنها متأكدة، ولكن في مرمى النظر، لأنها رأته قبل ان تخفي الأضواء.

لا جدوى من النظر حولها لرؤيته في الظلام، المسرح ممتلىء لا يوجد مقعد فارغ هذا ما ابلغها به المسؤول عن الرحلة.

سكان فينيس يحبون الأوبرا. هذا الإنتاج بالذات كان قياسي. النجاح منذ لحظة افتتاحه. المغنية صاحبة الصوت السوبرانو الرائع والجميلة ايضاً، صاحبة العينان السوداويتين والشعر الحريري الأسود الطويل. صوتها حساس وورقق كجسدها النحيل ولها طريقة بالسير على المسرح تأخذ بانفاس كل رجل يجلس في المسرح.

سؤال جايمي: «كيف حال الضرس الان؟»  
خمس أحد الحضور بصوت منخفض: «إيش...»  
تابعت عينا ساسكيا بلا هوادة في بحر الوجه

المحيطة بها. أي وجه من تلك الوجوه هو وجه دومينيكو؟

اغمضت عينيها الزرقاوين لترى وتتذكر أين كان يجلس. ولكن الأمر لم يجدي نفعاً. ثم أدارت رأسها ببطء كطريق رادار يدور على نفسه، رأته حتى في ظلمة المكان مثل نار مُستعرة. هكذا وجدته لأنّه كان ينظر نحوها. كان يجلس في مقصورة شمالي المسرح. مستديرها نحوها وليس باتجاه المسرح. لم تستطع رؤية وجهه جيداً، ولكنها لا ترغب برؤيته. إنها تعلم ما ستراه حين تعود الأضواء.

شعر أسود مسرح للخلف،جبهة واسعة عينان رماديتان باردتان، وذقن حديدي صلب، دومينيكو ليس بارد المشاعر ولكنه يهوى الامتلاك ومتطلب، يستطيع ان يفرق بين مشاعره وعمله. الليلة مشاعره كانت المسيطرة.

استطاعت ان تلتقط عبر المسافة بينهما ما كان يفكر به، وبحسه، مما دعاها للخوف والرعشة. احس جايمي بحركتها، استدار ونظر إليها قائلاً: «هل إزداد الأمر سوءاً؟»  
بدأ الجمهور بالإبتهاج وعلا الصخب والتهليل. همست ساسكيا: «جايمي، اظن بأن على الرحيل، إبقى انت، لا أريد ان أفسد عليك امسيتك.»

قال بالاحاج: «انا متاكد بأنه لو تناولت قرصين سيتحسن الوضع». نظرت بسرعة الى المقصورة حيث دومينيكو يجلس فرأته مازال جالسا بمواجهتها. علمت بأنه يراقبها، لا يستطيع رؤية وجهها او سماع ما تقوله ولكنها إن وقفت لترحل سيراهما دومينيكو وسيلحق بها.

رأات حركة في مقصورته رجل تقدم من دومينيكو وانحنى ليستمع اليه. التقطت انفاسها، الحرس. لقد نستهم، باستطاعته ان يرسل بهم إليها ليجلبواها! عليها ان تركض والآن. وفي لحظة استعدادها للنهوض ترددت، وغضت شفتيها. آه، أين هي الفكرة؟ ان رحلت الآن فبامكانه ان يصل إليها عبر شركة الرحلات، مدير المسرح بامكانه إخباره عن من حجز المقاعد وأي فندق ينزل فيه السياح في فينيس.

لماذا لم أقدر المخاطر التي تحيط بهذه الرحلة سابقاً؟ فكرت بحزن. من الجنون التفكير بالعودة الى ايطاليا أي جزء من ايطاليا ولكن بعد مرور عامين بدأت تظن بأن ما من داعي لأخذ الاحتياطات لتجنبه.

لم تكن تعرف فينيس على الإطلاق، ولعلها بعدم زيارة دومينيكو لها سابقاً ظلت بأنها ستكون بمامن خصوصاً ان رحلتها هذه مع المجموعة

تنقل دائم يومياً حتى وصلوا الى فينس للبقاء عدة أيام ما كان يجب ان تقع المخاطر. ولكنها اخطأت.

كان عليها البقاء في إنكلترا حيث لا يستطيع ان يجدها، بينما هنا بلده، ارتكت خطأ فادحا يقودها الى هنا. لو لم تأت الى الأويرا لما عرف بوجودها.

لم تستمتع بالأويرا، بالكاد تابعت ما يجري على المسرح. «مال جايبي ثانية نحوها وقال: «الملا يزيد سواعداً».

«عند نهاية هذا الفصل، ساذهب جايبي. ابقى انت لا اريد ان افسد عليك امسيتك.» «ساتي مغل، لن ادعك تسيرين في المدينة وحيدة خصوصاً وأنت متوعكة».

هذا هو المميز بطبعه، ان يلح. جايبي فورستر إنسان طيب القلب صدوق ويهتم للناس، لم يكن طموحاً ولا حيوياً كل ما يريد من الحياة هو ان يستمتع بها، ويكون له اصدقاء، ويجني ما يكفي من المال ليعيش مرتاحاً.

لديه حديقة ورثها عن جده في بلدة صغيرة تبعد حوالي اربعين ميلاً عن لندن.

يحب جايبي العمل بالهواءطلق، لديه يدان كبرitan حساسستان، وأنامله تزرع الإخضرار،

عمله أكثر من هواية، كان ولعاً، ربما جبه الوحيد. اعجبت ساسكيا به منذ بدأت العمل هناك منذ ستين، ولكنها لم تترك له مجال التقرب منها لأن هناك الكثير عن حياتها السابقة لم تطلع عليهما بعد، ولم تكن حرة لترتبط بأخر. ورغم أن جايمي معجب بها ولكنه لا يظهر لها ذلك. إنهم صديقان حميمان.

كان لجايمي صديقة حتى بضعة شهور خلت حيث تراجرا وإنفصالاً لأنه يفضل عمله عليها. ومنذ ذلك الوقت كانت ساسكيا ترافقه إلى الحفلات كصديقة، ولم يحاول جايمي حتى ان يقبلها. هل سيصدق دومينيكو هذا الأمر حين يعلم بأنها في إجازة مع جايمي في إيطاليا؟ عدت على شفتها ندماً.

لا يجب ان يقابل جايمي. تخاف وترعب من رد فعله. دومينيكو يتمتع بطبع بارد، ثلجي، شديد التحكم بأعصابه ولكنه يخفي غضباً برkanii يمكن ان ينفجر دون إنذار ويدمر كل ما يصل إليه. من المستحيل ان يتافق جايمي مع دومينيكو. ولا حتى ساسكيا لم تستطع يوماً ذلك. كان يرعبها حين يتكسر جليد طبعه والحريق الهائل المستتر يظهر ويتأجج.

بعد لحظات ولحسن حظها انتهى الفصل الأول صفت ساسكيا مع الجميع وبينما بدأوا بالنهوض هرعت نحو المخرج راكضة بين الجموع محاولة دفع من يقف في طريقها متتممة بإلعتذار. لم تنتظر خلفها لترى ان كان جايمي يتبعها. كانت تركز على هروبها من ذلك المكان بأي طريقة قبل ان تقع بقبضته دومينيكو او أحد حراسه. كانت على بعد شارع من المسرح حين وصل إليها جايمي.

قال لها: «هآي! لقد اضعتك! توقفت لأبلغ تاريخي بانتها عائدون للفندق، إن لم نخبره ستصاب بالهلع حين يعد الرؤوس ويجد بأن إثنين غير موجودين».

نظرت إليه بنظره اعتذار وقالت: «كان عليك البقاء، آسفه إفسدت امسيتك. جايمي! أعلم كم كنت متتشوقاً لحضور لترافتيا».

قال: «الذنب ليس ذنبي، لم تتعدمي ألم الأسنان الليلية، إنه الحظ».

كان مخطئاً، لم يكن ذلك حظاً أو صدفة ولكن خطأها الغبي. لو لم تأت لإيطاليا لما كانت أنت الى هذا المسرح ولما رأت دومينيكو ثانية.

سأله جايمي: «هل ستدبر بيسارا من هنا؟» قالت ساسكيا: «لست أذكر». واستدارت حول

نفسها، ارادت ان تبتعد عن المسرح قدر الامكان وبسرعة ولا تزيد ان يلحق بهم دومينيكو. مدينة فينيس عبارة عن شوارع صغيرة ضيقة وعمارات مائية متشابهة، ولم تعتاد عليها بعد، وليس لديها القدرة على التعرف على الجهات بسرعة حتى لو كانت تحمل خريطة.

سؤال جايمي رجلا يمر من أمامهم وأخذ منه الإتجاه الصحيح وبدأ السير وحين اقتربوا من الفندق احسست بالأمان والإرتياح.

ادركت ان دومينيكو لم يلحق بهما، لا داع للتأكد احساسها أخبرها بذلك، إنها تعلم تماما الان بما يعتري دومينيكو من أحاسيس ولديها القدرة على معرفة وقراءة أفكار وأحاسيس الآخرين، وهذه الميزة بدأت معها منذ الطفولة، القدرة على معرفة مع يفكر به الآخرين وليس فقط قراءة الأفكار وحتى معرفة الغضب، والخوف والمشاعر وتخبر الآخرين عنها.

قالت لدومينيكو ذات مرة إنها كاللتقط ذبذبات موجات الرadio. كأصوات موجودة في الهواء، أسمع ما يفكر به الناس... ولكن فقط إذا كانوا فرحين جدا او مستائين جدا، يحصل هذا فقط عندما يكون هناك موجات كهربائية فائضة في دماغهم على ما أظن، حينها استطاع التقاطها.

الغضب والخوف والسعادة... التقط منها موجات أحاسيس عارمة.

قال وعيثاء الرمادية ترمقها بسخرية: «فهمت، على انأخذ حذري منك».

لم تحتاج لسماع أفكاره لتعلم بأنه لا يصدقها، يظن بأن هذه تفاهات، خيالات مجنونة لديها، كان الأمر يزعجهما ولكنها لا تعلم كيف توقفه او تغلق.

«أتاي الأفكار هكذا، من المجهول، وحين تكون هناك مشكلة او ان احدهم مستوى».

لم يصدق ولم يفهם دومينيكو شيئاً مما تقوله حيث ان الأمر لا يتلائم مع نظرته للكون او الطبيعة البشرية.

لديه فكر واضح، قاس وبارد كالثلج، منطقى وعقلانى. كان مثالياً مع ذاته وعمله وحتى حياته، حتى هي ادركت بأنه يريدها مثالياً ايضاً. بالشكل، بالطريقة التي تناقض بها ويتصورها الزوجة المثالىة لرجل قوى مثل دومينيكو اليساندرو وتوقع مع الزمن ان تكون الأم المثالىة لأطفال مثاليين.

المثالىة عمل صعب الاحتمال.

ساسكيا كانت مدركة بأنها من البشر وتخطئ في حياتها، ولديها نقاط ضعف، ولديها محطات

لا تستطيع التقلم معها وهذا ما كان يخيفها أن دومينيكو لا يسامح في حال حدوث هفوات. إنه إنسان لا يسامح بسهولة وقد أحبته ولذلك رحلت بعيدا عنه لتجنب نظراته الباردة كالثلج وتعابيره الجارحة.

ليست جبنة ولكن غضب دومينيكو جعلها تخاف ومازال ستان بعيدة عنه ومع ذلك لا تستطيع مواجهته، وتعلم الآن بعد ان التقطت مشاعره عبر المسرح بأنه لم يسامحها. سألهما جاييمي باهتمام: «تبدين صامتة، هل الألم يزداد سوءا؟» بينما كانا يجلبان مقاييس الغرف من مكتب الإستقبال في الفندق ويتجهان نحو المصعد.

«لدي صداع الآن». إنها الحقيقة، رأسها يؤلمها الآن وكأن المطارق تنهال عليه، تجهمت وقالت: «هذا ليس يوم سعدى، أليس كذلك؟»

قال جاييمي: «تناولني قرصين من هذه الحبوب مع كوب ماء، ثم اطلبني من خدمة الغرف ان يأتوك بكوب من الكاكاو الساخن ليساعدك على النوم».

تناولها ظرف من الحبوب المهدئة بينما كان المصعد يتوجه نحو الطابق الثالث.

بدأت تقول: «شكرا، جاييمي، آسفه...»

هز رأسه وتقبّس: «أنتي الأمر، كان لدى ألم أسنان، وأعلم كيف تشعرين الآن. لطالما ظننت بأن ما من ألم أسوأ من هذا الألم».

سارا في المربي بين الغرف بهدوء، وحين وصلا إلى غرفتها توقف جاييمي ونظر إليها: «الآن، أخذت للنوم بعد أن تناولت الكاكاو. وإن لم تتحسن حالك حتى الصباح سننسى لأن ترى طيبا».

قالت: «سأخطئ الأسوء حتى الصباح. ربما كنت بحاجة للراحة والنوم. عدت مساء، جاييمي».

تناولت ساسكيا الأقراص وخلدت للنوم ورغم أن ألم رأسها تلاشى بعد وقت قليل لم تستطع النوم ساعات.

كانت مستلقية في العتمة. ثم اعتراها الحزن والرعب وتذبذب الضمير، لطالما كانت تخشى من أن يجدها دومينيكو، من ان يسحبها ويجوها وراءه في أي وقت.

العمل الشاق الذي مارسته في الحديقة المركبة ساعدها على نسيان ذلك في الأشهر الأولى. ألمتها عضلاتها في البداية. كانت تعود من العمل، موجلة، منهكة، والعرق يتتصبب من أنحاء جسدها، تأخذ حماما ساخنا تحاول الاسترخاء وتتكلل عشاء خفيفا قبل ان تخلد للنوم، كانت تقطع في نوم عميق حين تخضع رأسها على الوسادة.

رغم أنها في البداية كانت ترى كوابيس كل ليلة ولكن بعد هذه الشهور الأحلام المزعجة توقفت. هذه الليلة رأت حلماً مزعجاً، رغم أنها نامت قليلاً ولكنها استيقظت في الصباح الباكر باكية، مرتبعة وجلست في سريرها محدقة بالسماء دون أن تراها.

تذكرت ما حدث في الأوبرا ليل أمس وتتساءل إن علم دومينيكو باتها ضمن الفريق السياحي المقيم في فينيس هذا الأسبوع، أو أنه ظن باتها هناك منفردة مع الرجل الذي غادر معها. لا تستطيع البقاء في غرفتها طوال اليوم. عند السابعة والنصف غادرت فراشها وتوجهت نحو الحمام واستحمت، ثم وصل الإفطار.

جلست ساسكيَا على الشرفة وتناولت طعامها وبدأت تقرأ الصحف الإيطالية التي أحضرها النادل مع الإفطار.

تجمدت حين نظرت إلى صفحة الأعمال في الصحفة كان إسم دومينيكو مذكراً. قرأت المكتوب بسرعة وعلمت سبب وجوده في فينيس. لو علمت سابقاً بالأمر لما كانت قدمنت إلى هذا المكان بهذا التوقيت بالذات.

قال جايِمي لها ليل أمس: «إنه القدر». القدر هو ما دفع جايِمي لأن يقترح رحلة إلى

الحدثون الإيطالية ليأخذ أفكاراً يمكن تنفيذها في الحديقة المركزية في بلدِه، والقدر دبر أيضاً أن تنتهي هذه الرحلة في فينيس قبل العودة إلى الديار. إنه هنا في رحلة عمل، كان عليها أن تعلم. إنه يتفاوض مع أهم مجموعة فنادق في إيطاليا ليملك بعض أفخم الفنادق وبضمها إلى مجموعته ورئيس المجموعة الجديدة يقيم في فينيس ولذلك حضر دومينيكو.

بعد الإفطار ارتدت ملابسها لتنزل وتقابل جايِمي والأخرين، في الرحلة هذا الصباح كان من المقرر العودة ثانيةً إلى أكاديمية الفنون، والتي زاروها من قبل دون أن يسبروا الأغوار ويتعمقوا في اللوحات كما أرادوا.

قال الدليل السياحي: «هذه المرة سنركز على جيوفاني فلليني».

كانت ساسكيَا منشغلة البال بأمورها ولم تنتبه لما يشرحه الدليل. ترى هل تأخذ طائرة وتعود إلى إنكلترا؟ ولكنه سيقتفي أثرها ويجلبها.

ما عساي ان افعل؟ سارت مع المجموعة نحو الأكاديمية وهي شاردة الذهن. تكره فكرة الهروب ثانيةً تاركة عملها، أصدقائها، والبيت الذي تعدد منه سنتين لتبدأ من جديد في مكان آخر، تكتب، تخبئ، وربما هاربة مجدداً في المستقبل القريب.

هل هي قوية كفاية الآن لتواجه دومينيكو؟ خانتها الشجاعة حتى في التفكير. كان قد مضى ساعة على وجودهم في الأكاديمية حين أحسست ساسكيا بذلك الوبيض داخل تفكيرها وكأنه حقل كهربائي يصل بين نقطتين. إستدارت بسرعة ورأته للتو عند الطرف الآخر للغرفة، طويل القامة يرتدي ثياباً عادية تتدرج من البني الغامق وأحسست بأن انقاذه من تصميم إيطالي فريد.

لم يكن ينظر إليها كان يقف أمام لوحة لييليني، الأم والطفل في الحديقة، كان دومينيكو يحدق فيها والألم يعصر تفكيره. لم تقف لتتأمل اللوحة حين كان الدليل يتكلم عنها، بل مشت نحو الأخرى كانت تكره هذا الشعور، لا تحتمله وتتعدّد الابتعاد عنه. وحاولت أن تسرع نحو الباب، لم يرها بعد ويمكنها النجاة قبل ذلك. كانت قد اقتربت من الباب بعيدة عن ناظريه حين استدار فجأة وكان شيئاً ما أدار رأسه.

تسمرت عيناه باتجاهها فتجمدت في مكانها محققة به، مرتعدة حتى أنها كانت تسمع دقات قلبها.

لم يكن يعلم دومينيكو بأنها هنا حتى رأها. ولم يكن هذا الإحساس المفاجئ أحد حواسه التي استشعرت وجودها. لا، لم يحدث هذا سابقاً،

ولكن الآن للمرة الأولى التقط دومينيكو أفكارها، أحس بشعورها وهي تراقبه، عبر الغرفة أحسست به ويرغبته وكأنها لهيب يتتصاعد عندما يفتح باب فرن.

## الفصل الثاني

كالارنب حاولت ساسكيا النجاة، ولكن دومينيكو توقع الحركة ولم تستطع أن تخوض أكثر من خطوتين حتى امسك بها.

«لا تفعل...»

خرجت الكلمة من حنجرتها مخنوقة كالهمس. لم تستطع التفكير بوضوح. الفكرة الوحيدة الموجودة في تفكيرها كانت لا تفعل! وخلفها كان يضفغ كل ألم الماضي وندهمه، كثير العقد الشابك لكي يترجم بكلمات.

اللغة لا تحوي مضامينه، أو ان عقلها كان مليءاً ومشوشًا بالأسى والحزن وأي كلمات لا تستطيع التعبير عن شعورها.

«لا تفعل؟»

أعاد كلامتها بنفس اللهجة التي اعتادتها منه رغم مرور سنين

قال: «لا تفعل، ماذا ساسكيا؟ لا امساكك أى سؤال؟ لا أطلب توضيحات؟ لا أمسك؟ لا أغضب؟ لا اقترب منك؟ ما الذي علىي ان لا أفعله؟»

كل هذا، قالت لنفسها دون ان تستطيع إبعاد ناظريها عنه او ان ترد عليه.

قال: «حسناً، قولي شيئاً! وانحنى نحوها فاشاحت بوجهها عنه. إستاء دومينيكو من تصرفها فقال: «وكفي عن القفز هكذا. مما تخشين؟ ان اضررك؟ أنا لا أضرب النساء حتى لو كن يستحقن ذلك، إذا كفي عن التظاهر بذلك خائفة مني». قالت بصوت يكاد يكون مسموعاً: «انا لا اتظاهر!»

قرأ حركة فمها بدل ان يسمع الكلمات، فتحرك فمه ليرسم ابتسامة ساخرة: «حسناً، ليس من الحكمة ان تقلعي ذلك، وأعلم متى تكتذبين عليّ». قالت بحذر: «لطاماً قلت يأتي مجنونة». «آه، ولكنني بدأت اشعر بالجنون قليلاً هذه الأيام والفضل يعود لك».

«آسفه دومينيكو...» قاطعها بصوت متواوحش: «آسفه! تباً ، اهذا كل ما يمكن قوله؟»

كل من كان في الغرفة سمعه، استدارت ساسكيا لترى من كان في الغرفة، الجميع اغرب ولا يوجد احد من الرحالة.

تساءلت في نفسها، اين ذهب الآخرون؟ سمعت صوت دليل الرحالة يتكلم في الغرفة المجاورة وصوته كان واضحـاً. نظرت ساسكيا الى دومينيكو كالمستجدية: «لا

استطاع الكلام هنا، سياتي اصدقائي بحثاً عنـي في أي لحظة. لست وحيدة هنا، لدى صحبة». تجهم وجهه وخشـن صوته: «أعلم، رأيتـم ليلة أمس، تعلـمين اني رأيتـك ليلة أمس، أليس كذلك؟» صمت قليلاً ونظرـي إلى عينـيها الزرقاويـن: «نعم، لا تتـكبدـي عـنـاء الكذـب. تعلـمين اني كنتـ هناك، وأحسـست بـرد فعلـك. وعلـمت بأنـك تـزـينـي الـهـربـ ثـانـيـة».

نظرـتـي إلىـ الحارـسين الـواـقـفـين قـرـبـ الـبـابـ وـقـالـتـ: «وـأـفـتـرـضـ اـنـكـ اـرـسـلـتـ كـلـاهـماـ لـراـقـبـيـ!ـ أـمـاـ زـلتـ تـخـرـجـ مـصـطـحـباـ حـرـاسـةـ معـكـ،ـ عـلـمـتـ بـأـنـكـ تـرـاقـبـنـيـ».ـ

«أـكـونـ مـغـلـلاـ انـ فـعـلـتـ،ـ وـتـعـلـمـنـ ذـلـكـ».

إـنـهاـ تـعـلـمـ.ـ اـيـطـالـياـ بـلـ خـطـيرـ،ـ اـيـ شـخـصـ لـدـيـهـ مـالـ عـلـيـهـ انـ يـحـمـيـ نـفـسـهـ لـيـلـاـ نـهـارـاـ.

قالـ بـهـدوـءـ:ـ عـلـىـ أـيـ حالـ،ـ كـانـ مـنـ السـهـلـ العـثـورـ عـلـىـ لـأـنـكـ فـرـدـ فـيـ مـجـمـوعـةـ.ـ ذـهـبـتـ هـذـاـ الصـبـاحـ إـلـىـ الفـنـدقـ وـلـكـنـهـ لمـ يـحـدـدـواـ لـيـ اـتـجـاهـكـ الـيـومـ،ـ وـلـكـنـ كـانـ لـدـيـ الإـحـسـاسـ بـأـنـكـ فـيـ الـاـكـادـيمـيـةـ الـيـومـ».

اخـذـتـ نـفـسـاـ عـمـيقـاـ،ـ وـشـحـبـ لـونـهاـ اـكـثـرـ.ـ إـذـاـ لـمـ يـكـنـ يـعـلـمـ بـأـنـهاـ هـنـاـ!ـ لـقـدـ حـدـدـ مـوـقـعـهاـ كـمـاـ حـدـدـتـ مـوـقـعـهـ فـيـ الـمـسـرـحـ لـلـيلـ أـمـسـ.

شعورـ موـحـشـ وـغـرـبـ إـعـتـرـاـهــ.ـ ماـ مـعـنـيـ هـذـاـ؟ـ

لمـ يـسـطـعـ قـرـاءـ اـفـكـارـهـ خـلـالـ السـنـوـاتـ الـتـيـ عـاشـاـ سـوـيـاـ.ـ لـمـاـ الـآنـ،ـ يـعـدـ سـنـتـيـنـ مـنـ الـفـرـاقـ،ـ يـسـطـعـ اـنـ يـتـوـاـصـلـ فـكـرـيـاـ وـحـسـيـاـ مـعـهـ؟ـ نـظـرـ دـوـمـيـنـيـكـوـ إـلـىـ الـغـرـفـةـ وـقـالـ:ـ «ـأـينـ الـآخـرـونـ؟ـ»ـ قـالـتـ مـنـ دـوـنـ اـنـ تـفـكـرـ:ـ «ـمـنـ؟ـ»ـ

نظـرـ إـلـيـهـ:ـ «ـأـفـرـادـ الـمـجـمـوعـةـ الـتـيـ بـصـحـبـتـ؟ـ»ـ «ـرـبـاـ اـنـتـقـلـواـ إـلـىـ الـغـرـفـةـ الـمـجاـوـرـةـ.ـ تـدارـكـ تـفـسـيـهـاـ وـعادـتـ لـرـشـدـهـاـ وـقـالـتـ:ـ «ـعـلـىـ الـلـحـاقـ بـهـمـ،ـ سـيـتـسـاـلـوـنـ عـنـ سـبـبـ غـيـابـيـ»ـ

شدـ ذـرـاعـهـاـ نـحـوهـ وـقـالـ يـصـوـتـ مـنـخـفـضـ وـبـنـيرـةـ قـاسـيـةـ جـعـلـتـهـاـ تـرـتـعـدـ خـوـقـاـ:ـ «ـلـاـ تـظـنـيـ بـأـنـيـ سـادـعـكـ تـهـرـيـبـيـنـ مـرـةـ ثـانـيـةـ بـعـدـ اـنـ وـجـدـتـكـ»ـ

رأـتـ الـحـارـسـيـنـ يـقـرـيـانـ وـيـرـاقـبـانـ عـنـ كـثـبـ،ـ فـقـالـ بـغـضـبـ:ـ «ـدـعـنـيـ،ـ دـوـمـيـنـيـكـوـ!ـ اـتـرـيدـ اـنـ اـمـلـاـ الـمـاـكـاـنـ صـرـاخـاـ؟ـ»ـ

ادـرـكـ بـأـنـ عـلـيـهـ اـنـ يـدـعـهـاـ وـلـكـنـ عـيـنـيـ كـانـتـ تـشـكـلـ تـهـديـداـ وـلـمـ تـسـتـطـعـ اـنـ تـجـبـيـهاـ.ـ «ـمـنـ هـوـ؟ـ»ـ تـعـتمـ بـشـفـاءـ شـبـهـ مـقـفلـةـ،ـ اـمـاـ هـيـ فـارـعـتـدـتـ.ـ «ـمـاـذاـ؟ـ»ـ

كـانـتـ تـلـعـبـ عـلـىـ عـاـمـلـ الـوقـتـ،ـ رـغـمـ أـنـهـاـ تـعـلـمـ

عنن يسأل، ولكنها ت يريد تجميع افكارها، قالت: «سأعرف من هو، ولكن عليك إخباري، إنه هنا في المتحف، على ما أظن؟ ان لم تخبرني سأسأله بنفسى. هل يعلم من أكون؟» ونظر إلى عينيها ببرودة وابتسم قائلاً: «لا، لدى إحساس بأنه لا يعلم! وماذا يعلم؟ لا بد وأنك أخبرته شيئاً، ما هو باد على وجهك افترض بذلك أخترتني ماضياً جديداً لك. سوف يصدم، أليس كذلك، حين يعلم ماهيتها.»

قالت والدموع في عينيها: «كفى». كان على حق، منذ لحظة رؤيتها في المسرح أدركـت بأن عليها أن تخبر جايـمي بالحقيقة عن نفسهاـ وتعلم بأنـها ستتصـدمـهـ حين يـعلـمـ كـمـ كـذـبـتـ عـلـيـهـ. «هل تسـكـنـ معـهـ؟ هل اـنتـ معـهـ مـنـذـ انـ هـجـرـتـنـيـ؟»

كل سـؤـالـ كـانـ بـمـثـاـبةـ صـفـقـةـ عـلـىـ وجـنـتهاـ.ـ كانـ صـوـتهـ قـاسـيـاـ وـمـرـيرـاـ،ـ لمـ تـحـتـمـلـ سـمـاعـ المـزـيدـ.ـ قـالـتـ بـصـوتـ اـجـشـ وـالـدـمـوعـ توـشكـ انـ تـنـهـمـرـ منـ عـيـنـيـهاـ:ـ لاـ،ـ لاـ اـسـكـنـ معـهـ،ـ فقطـ اـعـملـ لـدـيـهـ.ـ نـحنـ اـصـدـقاـءـ،ـ هـذـاـ كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ.ـ «اصـدقـاءـ؟ـ كـرـرـ كـلـامـهاـ ضـاحـكاـ:ـ اـتـرـيدـنـ انـ اـصـدـقـ مـاـ تـقـولـيـنـ؟ـ بـيـنـماـ اـنـتـ هـنـاـ فـيـ عـطـلـةـ معـهـ؟ـ»

قالـتـ مـدـافـعـةـ:ـ انـهـ نـوـعـ مـنـ عـطـلـةـ عـمـلـ...ـ إـنـهـ رـئـيـسـيـ فـيـ عـمـلـ لـدـيـهـ حـدـيـقـةـ مـرـكـزـيـهـ،ـ وـأـنـاـ اـعـمـلـ هـنـاـكـ،ـ إـنـهـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ مـؤـسـسـةـ مـخـتـصـةـ وـإـلـىـ تـنـظـيمـ رـحـلـاتـ إـلـىـ حـدـائقـ الشـهـيرـةـ،ـ بـعـضـ الـاحـيـانـ فـيـ إـنـكـلـاتـرـاـ وـأـحـيـانـاـ خـارـجـهاـ،ـ وـيـعـلـمـ بـأـنـيـ لـمـ آـذـهـبـ فـيـ عـطـلـةـ مـنـذـ بـدـأـتـ عـمـلـ مـعـهـ،ـ وـبـمـاـ إـنـهـ مـشـارـكـ فـيـ هـذـهـ الـرـحـلـةـ إـقـتـرـاحـ إـنـ آـرـفـقـهـمـ،ـ إـنـ إـنـسـانـ وـدـودـ وـيـحـبـ الصـحـيـةـ.ـ»

«وـيـأـمـلـ بـأـنـ يـصـحـبـ إـلـىـ اـحـضـانـهـ،ـ وـأـنـتـ فـيـ جـوـ العـطـلـةـ!ـ»

«أـرجـوكـ صـدـقـنـيـ دـوـمـيـنـيـكـوـ،ـ جـايـميـ،ـ لـاـ يـرـغـبـ بـيـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ.ـ»

لـمـ يـبـدـوـ دـوـمـيـنـيـكـوـ مـقـنـعـاـ قـالـ:ـ هـذـاـ لـيـسـ الـأـنـطـبـاعـ الذـيـ رـأـيـتـهـ،ـ وـلـيـسـ اـنـطـبـاعـ النـاسـ فـيـ الـفـنـدـقـ.ـ بـدـاـ الـجـمـيـعـ مـقـنـعـاـ بـأـنـهـ صـدـيقـ الـحـمـيمـ.ـ»

دـهـشـتـ وـسـالـتـهـ:ـ «هـلـ سـأـلـتـ النـاسـ فـيـ الـفـنـدـقـ؟ـ مـاـذاـ قـلـتـ لـهـمـ؟ـ»

كـانـتـ تـعـلـمـ بـأـنـ أـيـ كـلـامـ مـاـ قـالـهـ لـمـوـظـفـ الإـسـتـقبـالـ سـيـنـقـلـهـ إـلـىـ دـلـيلـ الـرـحـلـةـ وـهـذـاـ الـأـخـيـرـ سـيـخـبـرـهـ إـلـىـ بـقـيـةـ اـفـرـادـ الـرـحـلـةـ،ـ النـاسـ تـتـكـلـمـ دـائـمـاـ.

الـكـلـ يـعـلـمـ بـأـنـهاـ تـلـازـمـ جـايـميـ.ـ إـنـ قـالـ دـوـمـيـنـيـكـوـ بـأـنـهـ زـوـجـهاـ سـيـنـتـشـرـ الـخـبـرـ وـسـيـصـلـ لـجـايـميـ قـبـلـ

أـنـ تـسـتـطـعـ شـرـحـ الـأـمـرـ لـهـ.ـ

رمقها دومينيكو بنظرية فاحصة وقال: «انت قلقة بما يمكن ان يظن بك؟» وقبل ان تجيب اضاف: «لا تقلي لم اخبرهم بشيء». فقط سالت إن كنت من نزلاء الفندق وعندها اخبروني بأنك برفقة صديقك في عطلة. وسألت اين يمكن ان اجدك، وعلمت بأنك خرجتم ولن تعودوا قبل المساء، ربما». «بعد ان ارتاحت وتنفست الصعداء وقالت: «بعد ان نمضي الصباح هنا في المعرض ستتناول الغداء في مطعم محلي».

«ماذا عن العشاء؟ هل هناك أي ترتيبات للمساء، أم انك حرة؟» كانت عيناه فاسيتان وهو يتتابع: « علينا ان نتكلم ساسكيا، عاجلا أم آجلا، وننهي الأمور». «عليها مواجهة الأمر، لا مفر من ذلك، إلا في حال الهروب ثانية ولا تحتمل ان تمضي بقية حياتها مطاردة.

الستان الماضيتان كانتا مليتين بالضغط النفسي والتوتر ولا تستطيع ان تبقى هكذا الى الأبد. عليها ان تكلمه وعليه ان يعلم بأن زواجهما لم يعد قائما.

قالت بوضوح: «حسناً... ولكن ليس في الفندق. سألاقاك في مكان ما... غدا صباحاً» لا ارتباطات غداً صباحاً، يمكنني الخروج وسألاقاك في

مقهى فلورين؟» فلورين مؤسسة سياحية، المقهي الاشهر في فينيس، دانما مزدحمة بالناس، ولن يلاحظ احد غربين يجلسان الى طاولة ويتحادثان بصوت منخفض. سيكون الأمر اكثر ملائمة من الإجتماع في مكان آخر يحمل طابع الشخصوية حيث من الممكن ان يتواجد احد ما يعرف أحدهما.

قالت: «حسناً، العاشرة والنصف؟ وكم ستبقين في فينيس؟»

«يومان آخران». سمعت صوت أقدام مسرعة وعلمت بأن جاييمي يبحث عنها: «على الذهاب... سأراك في فلورين عند العاشرة والنصف».

قال جاييمي: «آه، ها أنت! كنت قادماً للبحث عنك. ماذا كنت تفعلين؟ هل عاودك ألم الأسنان؟»

«لا، كنت اتأمل الصور، أحلام يقظة». مر دومينيكو من أمامها وأحسست بالنظرات التي تفحص بها جاييمي، فلم تستطع ان يتنفس.

ماذا لو توقف وقال شيئاً؟ ارتعبت مجرد التفكير بذلك. ولكنه سار دون أي كلمة وتوارى عبر المخرج.

قالت لجايمي بتعب: «أريد الخروج من هنا، رأيت ما يكفي من الرسوم لسنة قادمة».

ضحك وقال: «اعلم كيف تشعرين، عضلات

ساقاي تولاني بعد كل هذا المشي والوقوف مشاهدة الرسوم، لماذا لا نتسلل ونأخذ قهوة في ضوء الشمس لنصف ساعة ثم نتوجه الى المطعم لنلقي بقية المجموعة على الغداء؟ « علينا ان نخبرهم بأننا ذاهبان، والا قلقوا علينا».

«حسناً، توجهي خارجاً وسأسرع لأبلغهم وأعود إليك».

خرجت ساسكيا الى اشعة الشمس، نظرت حولها فلم تجد آثراً لدومينيكو وبعد لحظات لحق بها جايimi.

ذهبا الى مقهى شربا القهوة ثم ارسلا بطاقات لأصدقائهم، عند الثانية عشر والتسعين التقى الجميع في المطعم.

كانت الوجبة معدة سابقاً من قبل وكالة الرحلة وكانت جيدة، لم تتناول ساسكيا التحلية واستعاضت عنها بفنجان من القهوة السوداء.

بعد الغداء اخبرهم دليل الرحلة بأنهم يستطيعون التصرف كما يشاون في لفترة بعد الظهر إذ ان لا جدول زيارات مسجل لهذه الفترة.

اسعد هذا الخبر جايimi والذي قرر ان يأخذ قيلولة في غرفته بالفندق.

قالت ساسكيا: «سوف أذهب للتسوق».

«حسناً، كوني حذرة، ولا تتكلمي مع الرجال الغرباء».

ردت ضاحكة: «لن افعل». إنه اليوم بالذات لا ترغب بالتكلم مع أي كان، حتى جايimi؛ تريد ان تتفرد بذاتها لتفكر، أضافت: «أراك لاحقاً، جايimi، تمتع بقليلتك».

مشت بعيداً ببطء، وكانتها تتجه الى أحد مراكز التسويق الكبri، ولكن ما ان بعثت عن الانظار اتجهت هائمة نحو القنوات الهاودنة، فوق الجسور، الساحات ترافق شمس بعد الظهر التي تلون المياه في كل مكان لتجعله ساحراً.

كان مساء هادئاً، ولكنها كانت تشعر باستمرار بأنها مراقبة وملاحقة، وكانت تتوقف بين الفينة والأخرى لتنظر خلفها.

لم تجد احداً خلفها غير مواطنين منشغلين بأمورهم اليومية، يتسوقون، يتكلمون، يفرغون قواربهم، يغسلون توافذهم، يسقون أزهارهم. لم ينظر أحد منهم ناحيتها.

خلال سيرها احست بأنها تتعلم اكثر عن المدينة بهذه الطريقة وأفضل من الرحلات التي يقوم بها الدليل.

عادت الى الفندق حوالي الساعة الخامسة مع غروب الشمس والمساء الربيعي كان بارداً، شعرت

بانها كانت بعيداً جداً، اعصابها مرتاحة، عقلها هادئ ومرتاح. حين عبرت الممر الرخامي باتجاه منصة الاستقبال توقفت مذهلة حين سمعت صوتها قادماً من صالة جانبية.

دومينيكو! ماذا يفعل هنا؟ إنه يعلم بأنها لا ترغب بأن يعلم أحد من في الرحلة بعلاقتها السابقة به، ووافق على الانتظار حتى الغد لكي يتكلما في الأمر. فلماذا هو هنا الآن؟

مشت ببطء نحو باب الصالة، نظرت داخلاً وصعدت لما رأت.

كان هناك رجلان في الغرفة، يقفن إلى النافذة ومندمجان بحديث طويل. الأول كان دومينيكو والآخر جايبي. لا بد أنها احدثت صوتاً لأن الإثنين إستداراً ونظرلا إليها سوياً.

هرب اللون من وجهها فغدت بيضاء وعيناها الزرقاويين اتسعتا وإسود لونهما.

حدق بها دومينيكو بوجهه خال من التعبير. بينما جايبي كان فرحاً وعياته تلمعان.

كسر جايبي الصمت بسرعة قاتلاً: «ها أنت ساسكيا! كنت اتكلم عنك للتو. سيد أليساندرو، هذه هي مساعدتي، ساسكيا نيلين إنها المصممة الساحرة. أعلم بأنها ستكون

غيمون الصيف

37

متشوقة لرواية حدائقك وستتفقد لك كل ما ت يريد». كانت ساسكيا كالملحرة تنظر إلى دومينيكو تسمع ما يقوله جايبي دون أن تفهم كلمة مما يقول. عما يتكلّم؟

قال جايبي متقدماً منها: «ساسكيا، هذا هو السيد أليساندرو...»

تقى منها دومينيكو كحيوان متسلل، رجاله خفيفتان وجسده مستعد للإنقضاض. مازالت عيناها متلاقيتان. مد يده فمدت يدها تلقائياً، اللمسة الأولى أسرت بجسدها قشريرة وبشرتها كانت باردة. حوت أصابعه كفها الصغير. أحست بأنها لن تستطيع الهرب ثانية. سحبت يدها بسرعة والحظة قاومها ثم أفلتها.

لم يدرّي جايبي بما يجري بينهما فقد كان مستمتعاً، تاب قوله موجهاً حدثة لساسكيا: «تحاربنا أنا والسيد أليساندرو على الشرفة خارجاً، بينما كنت أشرب الشاي. كنت اتصف بمكتبة الحدائق الإيطالي الذي اشتريناه قبل قدومنا إلى إيطاليا وأخبرني بأنه ليس دقيقاً، حسناً، هذا ما لستاه بأتفسنـا حين رأينا بعض الحدائق أليس كذلك؟ الكتاب مليء بالأخطاء الغبية، وأشك بأن من ألف الكتاب لم يقم بزيارة نصف الحدائق». ضحك جايبي ثم سكت منتظرـاً رأيها بالموافقة.

ابتسمت ساسكيا ثم قالت: «نعم، انظر ذلك.» في تلك اللحظة كانت لا تستطيع التفكير عدا عن التذكر، كان جسدها ما يزال يرتجف من لمسة دومينيكو.

قال دومينيكو بصوته العميق الأ Jegs . وهو يراقبها دون النظر الى جايimi : «الكتاب قديم العهد، اظن تلك هي المشكلة.» وهو يعلم ما يعتريها من مشاعر. «صدر اولاً منذ سنوات عديدة خلت، ولكن مازال الأكثر شعبية لأنهم يعودون إصداره ثانية وي بعض الوصف للأماكن لم يعد دقيقاً.»

قال جايimi : «العديد منهم.»

لم تبعد ساسكيا نظرها عن دومينيكو، صباها في الإكاديمية ومع الأضواء الشاحبة لم تره بوضوح فظنت بأنه لم يتغير، ولكن، بعد التمعن به الآن أدركت بأنها لم تر الحقيقة. وجهه أضعف، جسده باردي النحافة. من الواضح إنه خسر من وزنه كثيراً.

قال جايimi : «بلغت السيد أليساندرو ياتي أملك حديقة مركبة في بلدي إنكلترا، وأنك تعملين لدى». ثم أضاف: «وهذا سبب إهتمامنا بالحدائق في هذه الرحلة، وأخبرته عن رغبتنا في رؤية حدائق الفلل على طول قناة برنتا.»

تذكرت ساسكيا أحاديث جاين عن قناة برنتا،

إنها قناة قديمة وسط الأرض الإيطالية والتي تبدأ من فينيس وتنتهي في بادوا.

تابع جايimi : «ولكن بالطبع لم يكن لدينا متسع من الوقت. فنحن هنا لأسبوعين فقط، ولدينا بضعة أيام هنا في فينيس قبل العودة، هذا ما قلته له. السيد أليساندرو أخبرتني بأنه يمتلك فيلا مصممة من القرن السادس عشر على قناة برنتا.»

دهشت ساسكيا، واتسعت عيناهَا. في الواقع يعيش دومينيكو خارج فينيس الآن، هل باع المنزل القريب من ميلانو؟ ومتى انتقل الى هنا؟ قال دومينيكو: «لم امتلكه منذ فترة طويلة، لقد ورثه من أحد اعمامي منذ سنة.»

قال جايimi بحماسة: «أتدرى من صممها؟» لم يترك لها مجال التفكير لتجيب «بلاديو!» والإشراق بادٍ على وجهه.

خلال جولتهم في فينيس أصبح من أشد المعجبين بالهندسة الإيطالية، والتي طبعت بأسلوبها العصري الهندسة في أنحاء أوروبا بما في ذلك العمارة في إنكلترا.

دهشت ساسكيا وقالت: «بلاديو! لا بد وأن الفيلا تساوي ثروة، وهذه حقيقة لا تفاجئها.

عاتلة دومينيكو فاحشة الثراء، يملكون عدة شركات، مصانع مواد غذائية، مطابع، وكالة

أدوية، وسلسلة فنادق، إنهم يعملون بجهد، بضم أحدهم، إذن، ولكنهم لم يحصلوا على الثروة فجأة أو حديثاً، العائلة قديمة وعريقة وجذورها ترجع إلى القرن الخامس عشر وربما قبل ذلك، بدأوا كتجار، اشتروا الأراضي والقصور، وتزوجوا ببنات النبلاء.

والد دومينيكو كان عميد الأسرة وكان يريد له أن يأخذ مكانه. جيو فاني اليساندرو العجوز كان مولعاً بجذور عائلته، ومكانتهم في تاريخ إيطاليا وتأثيرهم المستقبلي. كان هذا هاجس الدائم. مغدور، فخور، مسيطر، وكانت له مواصفات معينة للزوجة التي سيتزوجها ابنه. حين أحضرها دومينيكو لرؤية العائلة كان واضحاً عدم موافقة والده على اختياره، واحتقرها. بكل بساطة لم تكن تناسب ابنه، ومع الوقت كرهها، في الواقع، كان أحد أسباب هروبها من ستين.

قال دومينيكو ببرودة: «إنه كنز قومي، أحد روائع بلاديو ولكن المنزل مهم». عمي كان يخال لا يحب إنفاق المال. ولم يجرى أي إصلاحات في المنزل. منذ نصف قرن، لم يكن يقيم في المنزل فقط خادمان عجوزان بالكاد كانوا يعملان. هناك الكثير يتحتم عمله بما في ذلك الحداقة

التي تعجبها الفوضى والتي أتني الحفاظ على تصميمها القديم».

قال جايبي: «وبنوى إضافة حديقة زهور إنكليرنة الطابع، إنه يحب الزهور». ثم أضاف: «ومما هو مثير حقاً، أنه يريدنا أن نصمم له تلك الحديقة وزرودها بالزهور، ساسكي، إن كان بإمكانك تصميم ما ينال إعجابه».

نظرت إلى دومينيكو متزعجة. ما كل هذا؟ ما هي الأكاذيب التي رواها جايبي؟ وما هو هدفه من كل هذا؟

ابتسم لها ابتسامة صفراء، وتأملها ثم قال: «علمت بأن رحلتكما ستنتهي بعد يومين، لذلك لا يوجد متنفس من الوقت. ان اردتما مشاهدة حدائقنا عليكم القيام بذلك غداً». أخذ يتأمل وجهها وكيفية تغيير ملامحه.

هكذا إذن. إنه يستعمل جايبي ليغيرها على زيارة منزله الجديد؟ عليه ان يراجع مخططاته، لأنها لن تتحرك من مكانها.

قال جايبي: «لا يوجد على لائحة الزيارات الغد شيء ذو أهمية، فقط زيارة الى مورانو يمكننا ان نتعذر عنها».

قالت بثقة دون ان ترفع نظرها عن دومينيكو: «في الواقع اريد انأشاهد مورانو. كنت انتظر

هذه الزيارة». مرسلة إليه الرسالة التي ت يريد أن تقولها.

كان عليه ان ينتظر حتى يلتقيا في المقهى غداً، حتى يعطيها الفرصة لشرح سبب رحلتها ولماذا لا تنوى العودة.

نظر جايimi مندهشاً إليها: «آه، بإمكاننا ان نذهب الى مورانو قبل رحلتنا لوخدنا من دون ان تكون مع المجموعة، وهذه فرصة رائعة ساسكيا، شيء لم نحلم به، زيارة الفلل الخاصة على بربتانا والأهم انها من تصميم بلاديو. إنها فرصة هامة بنظرتي لا استطاع الانتظار. ولكن يجب ان تأتي، انت خبيرة الأزهار وتحتاج هناك».

ابتسم دومينيكو لها ابتسامة جافة وقال: «نعم، يجب ان تأتي ساسكيا، أصرّ على قدموك». حاولت قراءة افكاره لتعرف نواياه، ولكنها لم تستطع.

دومينيكو يتعمد ان لا يدعها تقرأ افكاره. عقله بدا أشبه بشاشة كومبيوتر مطفأة، هذا مستحيل، لأن عقله يعمل طوال الوقت. نظرت الى عينيه فرأيت المتعة والساخرية وفاجئها ذلك. مزاجه مُحير، ليل أمس في الأؤريرا أحسست بالغضب والثورة وما تراه الآن شيئاً آخر.

لم يخطر ببالها ان يكون التغيير الذي طرأ عليه

خارجياً شمل ايضاً داخلها، ولكنها تأكدت الان، عقله كما جسده تغيراً. لم يعد نفس الشخص الذي تركته منذ سنتين.

«المطريق الأسهل لوصولكم الى هناك، هي ان أفلكل بمركبي». ثم وجه كلامه لجايimi: «متى تستيقظان؟ تستطيعا النهوض باكراً؟ هل الثامنة والنصف مناسب كي اصطحبكم؟» اجاب جايimi بسرعة قبل ان تعترض ساسكيا: «لا، حسناً، مما أرض غورو دومينيكو.

«حسناً، إذن الى الغد، ساراكمما عند المرسى، خارج الفندق. آه، احضرنا معاطف المطر، والتوقعات الجوية انبأت عن هطول المطر. وأخذية مناسبة، الحدائق واسعة وبعض المرات القديمة أصبحت كثيرة الاعشاب، ويمكن ان تكون موحلة».

قال جايimi: «لقد احضرنا اخذية خاصة في الواقع، لأننا فكرنا انه ربما سنحتاج إليها للحدائق الكبيرة، وحذرنا المسؤولين عن الرحلة من ان فينيس ربما تكون ماطرة في مثل هذا الوقت من السنة. على كل حال، هذا هو الحال في بلدنا خلال الربيع».

قال دومينيكو: «اعلم».

سال جايimi باهتمام: «هل كنت في انكلترا؟»

من الواضح انه متخصص جداً لدومينيكو وهذا ما يشير اعصاب ساسكيا. نظر دومينيكو في عيني ساسكيا بإمتعاض وأجاب: «العديد من المرأة، خصوصاً مؤخراً كنت أزورها دائمًا في العامين الآخرين». سأل جايimi: «أظن بأن لديك أعمال هناك؟» قال وهو يراقب ساسكيا: «بالفعل، ولكن زياراتي كانت شخصية».

كان يبحث عنها. لطالما علمت بأنه سيفعل، إنه رجل لا يمل وعند. بعض الأحيان خلال العامين السابقين كانت تشعر بأنه في بلدتها يبحث عنها وتبقى متورطة إلى أن يعود إلى إيطاليا. لم تعد تحتمل الوضع فقالت: «أود الصعود إلى غرفتي لأبدل ملابسي من أجل العشاء، المعدرة..» قال جايimi: «أراك لاحقاً.» قال دومينيكو بنعومة: «أراك غداً». بلهجة فيها تهديد مبطّن.

بأمان في غرفتها، دخلت إلى الحمام وفتحت الماء لتسخّم، فرّغت فستانها الأخضر القطني. سمعت صوتاً في الغرفة، فخرجت وإنهارت اعصابها حين رأت دومينيكو يغلق الباب. «كيف دخلت إلى هنا؟ ما...؟»

أنسند كتفيه على الباب وقال ببرودة، وبابتسامة

ساخرة: «أخبرت عاملة التنظيف بأنني نسيت مفاتيحي وزوجتي تستحم في الداخل ولا تستمع القرع على الباب، ففتحت لي الباب بالمفتاح الرئيسي للغرف».

«كان عليه ان تعرف بذلك لست من المجموعة في الرحلة! لا يمكن ان تصدق بذلك كنت معى، ثم ان هذه الغرفة لفرد واحد!»

«ربما نسيت ذلك. إنها فتاة ساحرة وجميلة، بالإضافة إلى أنها متعاونة، لقد أعطيتها إكرامية سخية».

اهتزت ساسكيا غاضبة: «تعنى بذلك رشوطها لتدعك تدخل هنا! يا للهول. سأتصل بالمدير..» «وتنسبين بفقدان الفتاة لعملها؟»

«شخص غير صادق وغشاش لا يصلح لأن يعمل في فندق محترم. يمكنها ان تدع اللصوص يدخلون الغرف، كما ادخلتكم هنا».

لم يبدو وكأنه يستمع كان مشغولاً بالنظر. كانت عيناه الرماديتان تتأملان كتفيها العاريين. في المرأة، على باب الخزانة خلفها رأت ساسكيا نفسها فجأة.

لم تستطع التنفس تراجعت للخلف وهي تراقبه وخفقان قلبها يصل حتى حلقاته. مدت يدها لتلتقط منشفة من على السرير.

كان دومينيكو أسرع منها، امسك بها، ويداه ضغطت على كتفها الناعمتين.

صرخت ممزوجة: «لا».

الصراع بين انها تريده والخوف من الالم لأنها تحبه يجعلها قليلة الحيلة، لقد نجت من هذا الفخ سابقاً، والآن ها هي تعود إليه، رغبتها به تدفعها للخيانته، وتصبح ضعيفة بمحاجته. حاول ان يقبلاها، تحاشته وبدأت تشيح بوجهها عنه. بدأت تقاؤمه واستطاعت ان تحرر نفسها من بين يديه مسرعة نحو الباب. فتحته قبيل ان يصل إليها.

قالت: «هل أصرخ، أم تخرج بهدوء؟»

تجهم وجهه، وبدأ يتنفس بضوعية. جلس على السرير وقال: «حسناً، لقد فزتِ سأرحل بعد دقيقة، أريد ان أكمل فقط».

لم تغلق الباب، رددت قليلاً ووقفت تراقبه: «حسناً؟»

«أريد ان اتأكد من انك لن تحاولى الهرب ثانية، لأن الفندق مراقب. لن تستطعي الهرب بعيداً، فلا تزعجي نفسك بالمحاولة. فكرت بأن أوفر عليك المشقة والاحراج بالهروب والقبض عليك».

لم تتفاجأ، ولكن التهديد أغضبها قالت: «ابعد».

تابع: «سأزف الخبر الى صديقك جايimi باتك زوجتي، أليس كذلك؟» نهض ومرّ أمامها وعيناه تتفحصانها.

صافت الباب وراءه، وبدأ جسدها يهتز حتى أنها وقعت أرضاً، كطفلة بدأت تتنحّب.

أخذت حماماً سريعاً ثم تمدّدت على سريرها، محاولة ان تفكر بأمرها جيداً. عليها الإعتراف لجايimi، وتعلم بأنه سيكون متعاطفاً، سيفهم سبب هروبيها، ولماذا عاشت اكذوبة لمدة عامين، ولكنها لا تحتمل مجرد التفكير بالأمر، الماضي جرح لم يندمل وسيكون مؤلماً كثيراً حين تذكره لتخبر جايimi.

لكن ما عساها تفعل بشأن يوم غد؟ هل ستذهب الى المرسى مع جايimi، وتدفع دومينيكو يأخذها الى الفيلا التي ورثها؟ ولكن هل ستعود؟ الحل الوحيد كان ان تلتتصق بجايimi أثناء وجودها في الفيلا. ومهما حاول دومينيكو لن تدعه يفصلهما عن بعض او على الأقل ستدعه على مرمى النظر وتدعه يراها طوال الوقت.

المشكلة كانت معرفتها بطبع جايimi وكيف يتصرف حين يرى حقيقة غريبة، خصوصاً حقيقة قديمة والتي قد تحوي أنواعاً نادرة من الزهور. ومشكلة أخرى أكثر ازعاجاً،

ماذا لو تواجد احد من آل اليساندرو في الفيلا؟ إنها عائلة متربطة يزورون بعضهم البعض دائماً. ماذا لو كان والده هناك؟ لا يمكنها مواجهة

جيوفاني اليساندوري، منذ سنتين حاول قتالها وتخاف إن علم برجوعها إلى حياة ابنه سيعاود المحاولة ثانية.

### الفصل الثالث

اخبر جايامي منسق الرحلة تيري بأنهما سيذهبان منفصلان عنهم اليوم التالي، شارحا الأمر بكثير من الفخر والإعتذار.

استمع تاري إلى كلامه. كان شديد الحرص على سلامه الجميع أثناء التجول في إيطاليا، ولكن منذ أن وصلوا إلى فينيس بدا أقل حرضاً حيث أن هذه المدينة لديها أدنى مستوى جريمة في إيطاليا. لأن المجرمين لا يتمكنون من الفرار سريعاً في هذه المدينة نظراً لأن شوارعها عبارة عن قنوات مياه ويتنقل الناس فيها بالقوارب.

بدأ تيري متزوجاً: «يبدو الأمر غير مقبول بالنسبة إلى، ماذَا قلت أَسْمَ هَذَا الرَّجُل؟ وهل اعطاك أي دليل على أنه صاحب الفيلا؟ قصة غير مقبولة أليس كذلك؟ أديك فكرة عن ثمن مثل هذه الفيلا؟ يجب أن يكون ثرياً ليملك مثلها».

اندهش جايامي: لم أفكِر في هذا الشيء، ولكن لحلل الأمر، ثيابه تدل على أنه غني، حذاوه مصنوع باليد، أنا متتأكد من ذلك. لقد لفت نظري، أعلم أن ليس باستطاعتي شراء مثله، إنه يساوي ثروة، ولكني أخذ كلامك يا تيري على محمل الجد،

ورغم ذلك لا أشك بأنه غني، أتوافقيني الرأي يا ساسكيا؟»

لم تعلق ساسكيا على كلام جايimi، رغم أنه لم يتضرر الجواب إذ تابع تقديراته قائلاً: «رغم ذلك، يمكنني القول أن الأمر كان مستغرباً. كيف كان نتبادل الحديث على التراس، أعني أنه هو من بادر بالكلام.»

قال تيري: «ها انت إذا تشک..»

نظر إليه جايimi مستغرباً. ثم قال: «اذكر الآن، اتي وجلس الى طاولتي بينما كان هناك العديد من الطاولات الفارغة. وأذكر أنه قال لأنني أقرأ كتاباً عن الحدائق الإيطالية، وربما كان هذا هو السبب. على كلٍّ، لماذا يكتب؟ وما هي الفائدة من ذلك؟»

نظر تيري بإشراق إلى: «حسناً جايimi، يمكنني التفكير بعدة دوافع، فينisi الأكثر أمّنا في أوروبا بين المدن، ولكن بين الحين والآخر يتسلل بعض المستفيدين وإن قال بأنه سيأخذك معه بقاربه ربما انتهى بك الأمر في مكان آخر». قاطعه جايimi ضاحكاً: «ما هذه السخافة؟ ولماذا ينوي إختطافي؟» نظر تيري إلى ساسكيا وقال: «ربما لست انت المهم؟» إحررت وجنتها، وتوتّرت اعصابها وفتحت

عينيها مذهلة لاستنتاجاته. نظر جايimi إليها أيضاً وتغيرت ملامح وجهه: «ساسكيا؟ آه، لم يخطر ذلك بيالي. أتعلم، لم أحظه ينظر إليها. ولكن... حسناً، هذا ممكן خصوصاً في إيطاليا. الإيطاليون يهتمون بالنساء الفاتنات..» ثم سأل: «أتفطن بأنه يود استعمالتها بمالي؟»

قال تيري: «النقل انه غير أهل للثقة. على كل حال يستطيع الرجل الغني ان يستخدم خبيراً محلياً لتصنيع حديقه! شخص من المنطقة يكون ذو خبرة بأمور الأرض أفضل من الغريب مهما كان جيداً، ولست اتكلم بوقاحة يا جايimi بل ما عنطيه وما أريد توضيحه هو ان الخبر الم المحلي يعلم ما يثبت هنا وما يفعله الطقس في مختلف فصول السنة وهكذا. أليس كذلك؟»

وافقه جايimi الرأي فوراً: «نعم، انت على حق، أظن ذلك، ولكننا مختصون بالزهور كما قلت لك، لدينا مجموعة ضخمة منهم في مخزوننا، ولدينا طلبيات من مختلف القرارات طوال الوقت وخصوصاً من فرنسا حيث أنهم مولعون بالازهار الانكليزية رغم أنهم يزرعون أزهاراً رائعة بانفسهم.» سكت لبرهة انفرجت اسماير وجهه وتتابع: «لا، أتعلم، أظن بأنك مخطئ»، لا أظنه مفتونا بساسكيا، لأنه دعاني إلى زيارة الفيلا قبل وصولها! لم يكن قد

رأها من قبل.» نظر إلى ساسكيا ثم قال: «اتعلم، ربما كان يريد التصيحة دون أن يدفع لنا. إن أخذنا إلى حدائقه كسواح لا يمكننا ان نطلب المال مقابل المعاية. أنت تعرف كم ان الاغنياء لا يحبون إنفاق المال.»

قال تيري بعدم اقتناع: «حسنا، أمل ان يكون ما تظنه حقيقي. لو كنت مكانك، لفكرت مليا قبل ان أقبل دعوته.» تابع جايimi تناول وجبته بشهية قائلًا: «كان هذا لذينا». بينما كان النادل يمد يده لتناول الصحن امسك بها جايimi وقال: «جورجي، أنت من قدم الشاي على الشرفة بعد الظهر، أليس كذلك؟ أتعرف الشخص الذي كان يجلس الى طاولتي؟»

«السيد اليساندرو؟ نعم سيدى.»

سأل جايimi باهتمام: «تعرفه؟»

قال النادل: «بالطبع سيدى، إنه صاحب هذا الفندق!»

تنفست ساسكيا بصعوبة.

اعتدل تيري في جلسته محدقا بالنادل: «السيد اليساندرو؟»

كرر جايimi بتعجب: «إنه صاحب هذا الفندق. هل أنت متاكد؟»

«كل التاكيد سيدى. إشتراه السنة الماضية،

ويعيش في البلد بمواجهة فينيس في بيت تاريخي رائع على قنطرة بربانتا وب يأتي الى الفندق دائمًا. وقد خدمته عدة مرات..»

«لو ذكرت لي أن إسمه اليساندرو لكنت قلت لك من يكون، لم ألقاه شخصياً بالواقع، ولكنني سمعت عنه، إنه يمتلك سلسلة من الفنادق تتعامل معها في إيطاليا إنه من أغنى رجال هذا البلد.»

«حسنا، أنا مررت لأنني كنت على حق بأن أثق به.» قال تيري: «نعم. أنت محظوظ جداً لأن يدعوك إلى منزله! قلت انه تقدم منك وعمرك على نفسه؟ هذا مدهش. أتعلم، سأنزل باكرا غداً وأودعكم فقط لأنكك بأنه هو. أنا أعرفه، شاهدت العديد من صوره في الصحف الإيطالية.»

نظرت إليه ساسكيا مستغربة، الآن حين علم أن جايimi قابل دومينيكو يريد ان يحضر نفسه أيضاً. لم تتفاجأ لقد صادفت مثل هذا التصرف كثيراً حين كانت في منزلها مع دومينيكو. للمال تأثير على الناس، يجذبهم كالغمطيس.

احس تيري بنظرتها المتعجبة فاحمر وجهه: «حسناً، على ان أحضر ملاحظاتي من أجل الغد، ارجو المغفرة.»

حين انصرف قال جايimi: «أظنه يشعر بالغيرة، يريد مقابلة السيد اليساندرو..»

قالت ساسكيا: «أذنك على صواب..»  
نظر إليها نظرة حادة وقال: «لا تحبينه، أليس كذلك؟»

سألت بعثتين واسعتين: «تيري؟»

«لا، اليساندرو، لست غبياً، لحظة دخولك الغرفة  
بعد ظهر هذا اليوم ورؤيتك له بدت كقطة  
تشاهد كلباً.» ثم تابع بنعومة: «لطاماً إحترمت  
نظرتك للناس. أخبريني ما الذي لا يعجبك بـ  
اليساندرو؟»

أخذت نفساً عميقاً، وتساءلت إن كان هذا هو  
الوقت المناسب لإخباره الحقيقة، وبينما كانت  
تجمع افكارها لإخباره عاد تيري. صفق بيده  
طالباً الصمت من الجميع.

إستدارت ساسكيا لتستمع إليه وهو يلقي خطابه  
عن الوجبة الشهية التي تناولوها، وأمل بأن يكون  
الجميع استمتع بنهاره.

صفق الجميع فايتسم تيري لهم وقال: «غداً  
سيكون يوماً طويلاً كما تعلمون سندذهب إلى  
مورانو لنرى كيف يصنع الزجاج. معامل الزجاج  
انشات في القرن الثالث عشر وإلى يومنا هذا  
ما زالت مشهورة. ستسنح لكم فرصة شراء  
بعض الزجاجثناء تواجدنا هناك.»

قال أحد افراد الرحلة: «أن يأخذنا دائماً لشراء

أشياء للذكرى حيثما نذهب، أظنه يأخذ نسبة  
من البائعين». وضحك من كان يجلس معه. نظر  
الدليل إليهم نظرة حادة وقال: «لن يجركم أحد  
على شراء أي شيء»، ولكن الكثرين يرغبون  
بشراء تذكرياتاثراء رحلتهم. آه، وعلمت بأن  
بعضنا لن ينضم إلينا لزيارة مورانو، لديهم  
ترتيبات خاصة، وأود أن أطلب منهم العودة إلى  
الفندق قبل العشاء لسماع ترتيبات اليوم الأخير  
للرحلة.»

ذهبت للنوم باكراً، ولكنها لم تتم جيداً، رأت  
احلاماً طوال الليل. كانت قد طلبت من عامل  
الهاتف إيقاظها باكراً، وحين رن جرس الهاتف  
هرعت لتجيب: «نعم؟ شكرًا». ثم اقفلت السماعة.  
لم تتم لأكثر من اربع ساعات، كانت متعبة وترغب  
بالعودة للنوم ثانية. إفطارها سيجهز قريباً. سمعت  
المطر ينهر خارجاً. هذا ما كان ينقصها!

أخذت حماماً سريعاً، ارتدت ملابس تناسب  
السير في الأماكن الصعبة. نظرت إلى نفسها  
في المرأة. بدت حساسة، عملية، متواضعة، بعيدة  
عن التصنّع. هذاماً أرادته اليوم. أرادت إبعاد  
دومينيكو، وليس إغواؤه! دق بابها «خدمة الغرفة،  
سيديتي!»

إفطار المعتاد: قهوة وخبز، مربي التوت، عصير

تيري وكيف أنه يبتسم ويهرّ برأسه موافقاً على كل ما يقوله دومينيكو: «أعلم بأنه كان يأمل ان يتكلم مع اليساندرو! ألم أقل لك؟» «انا متأكدة بأن السيد اليساندرو معتمد على هذا الأمر».

قالت ساسكيا والتي تعلم تماماً بأن دومينيكو كان قد قابل اشخاصاً مثل تيري طوال حياته وتعلم بالضبط كيف يتعامل معهم، ببرودة وأدب، بمسافة، ولا يفقد اعصابه او ان يسمع لأحد بفرض نفسه عليه.

نظرت الى الطرف الآخر تجاه قارب آخر، كان هناك رجلان يقفن على متنه وكأنما يحدقان حولهما، عيونهما تمسحان المكان كأشعة الليزر ويراقبان كل شيء حول الفندق، ومستعدان لأي طارىء.

حتى هذا اليوم اصطحب دومينيكو معه الحرس الشخصي رغم أنهم كانوا يراقبون عن بعد.

ما هذا العالم المجنون! كيف يتحمل ان يعيش هكذا؟ كانت تسأله دائماً هذا السؤال. كانت تكره ان تعيش في عالمه، لطالما أحسست باتها سمة ذهبية داخل كأس، تسبح داخله وحوله العيون تراقبها وتعلم ان لا مفر لها ولا مكان تخفيء فيه.

برقبال. لم تكن جائعة، ولكنها اجبرت نفسها على الأكل لإسكات الأصوات في معدتها. حين تركت غرفتها توجهت الى غرفة جايسي الذي نظر إليها باندهاش: «حسناً، انت مستعدة؟ كنت سأتي لأقرع بابك، يجب ان لا تتأخر». «هل رأيت الطقس؟ سوف نبيل حتى جلتنا ونحن نجول في الحدانق». قال جايسي: «لم يكن المطر مصدر إزعاج لك في بلدنا».

إنها الحقيقة، بالطبع، لقد عملنا في شتى أنواع المناخ، العواصف الثلجية، لم توقفهم حتى، ومع ذلك كانوا يفضلان العمل الداخلي اثناء العواصف الرعدية.

استخدمنا المصعد لينزلنا الى الطابق السفلي، ثم توجها نحو الشرفة لتناول الشاي، الى جانب الشرفة كانت هناك مساحة واسعة تتطل على النهر حيث ترسى القوارب. قاربان كانوا مدھونان باللون الأسود والأبيض ومذہب على الأطراف. تعرفت ساسكيا عليه على الفور، انه لدورينيكو. جايسي لم يكن ينظر الى القارب، كان ينظر الى دومينيكو الذي كان يقف عند نهاية المر تحت المظلة ويتكلم مع تيري، دليل الرحلة. كان يراقب

في هذه اللحظة استدار دومينيكو ونظر إليها بدأ من شعرها مروراً بوجهها ونزولاً إلى ثيابها. ابتسם ابتسامة غريبة وقال: «أرى أنك مستعدة لأي شيء».

علمت أن هناك معانٍ مبطنة في كلامه، ولكنها لم تبد أي تعبر يشعره بأنها فهمت قصده. كان دومينيكو يرتدى ثياباً عملية أيضاً، بدا أكثر جدية. مجرد النظر إليه أثارها، تمنت أن لا يلقط أحاسيسها كما فعل أمس في الأكاديمية. قال تيري مبتسماً بوجه دومينيكو: «كنت أحاذل إقناع السيد أليساندرو ان يسمح لنا كشركة بزيارة منزله الجميل يوماً ما. أمل بـأن تقنعاه بينما انتما هنا». ثم أضاف: «نحن شركة مرموقة أؤكد لك ومعظمهم أناس اختصاصيون. لا داعي للقلق بشأن أي ضرر ما قد يحصل وإن حصل أي ضرر لدينا تأمین جيد».

نفذ صبر دومينيكو فقال: «لقد فشلت في إستيعاب ما أقوله لك، ببتي شأن خاص، لا أرغب بأن يقتحمه الغرباء».

«آه، ولكن لن نزعجك كثيراً، نحن نقوم بهذه الجولات حول فينيس مرتين أو ثلاثة في السنة، ولن نقى في الفيلا طويلاً، ساعتان على الأكثر...» قال دومينيكو مقاطعاً: «للمرة الأخيرة، الجواب هو

لا.» توجه نحو القارب، وتوجه بالقول لساسكيا وجاييمي: «لندذهب في سبيانا، تفضلوا». امسكت تيري بيد جاييمي محاولاً تأخيره وقال: «حاول أن تقنه، هل ستفعل؟ ستكون خدمة كبيرة إن أضفت الفيلا إلى رحلاتي».

قفز دومينيكو إلى قاربه، ثم استدار نحو ساسكيا ومد يده نحوها. ترددت، وتلاقت نظراتها وأحرمرت وجنتها. وقبل أن تففر إمتدت يداه إلى خصرها، وبعد لحظة كانت قدماتها عاليتان عن الأرض وطارت في الهواء، نزولاً نحوه، لم يستعجل وضعها على أرض القارب، تركها تنزلق عليه، فتلامس جسديهما.

كان كلام جاييمي وتيري على مسمع منها، نظرت نحوهما فرأت أن جاييمي كان يقف وظهره باتجاهها. حاولت الإفلات ولكن يدا دومينيكو امسكتها بقوة ونظر إليها. وجهه قريب من وجهها.

قال هامساً: «تبدين كشابة في هذه الملابس. تعلمين بأنى أكره أن اراك مرتديه السراويل».

«لم أعد ألبس من أجلك».

«ولا حتى تخليعن من أجلي؟»

«كف عن هذا الكلام».

«أكف عن مازا؟»

غيمون الصيف

«إن كنت ستكلم بهذا الأسلوب، سأعود إلى  
الفندق!»  
«هل أخبرت رئيسك بأنني زوجك؟»  
«عشت شفتها: «سأفعل!»  
«يا لك من جبانة، ساسكيا.»

همست قائلة بكره: «دعني:»  
قال بلهجة قاسية هامسا: «ستنان! لم أرك منذ  
ستين، وها انت تقفين أمامي وتقولين دعني؟  
إن ظلت باقى ساترك ثانية بعد ان وجدتك  
ستكونين مجنونة! لقد أرسلت رجال الى إنكلترا  
بحثا عنك، حتى أتي ذهبت بنفسي، وحين كان  
التحريريون يقفون أثرا لك كنت اهرع الى المكان  
وتبوه المحاولات بالفشل. عدة مرات ذهبت لاتعرف  
على حيث السيدات المتحرات...»

تعلمت فرمقتها عيناه بمرارة، ثم قال: «نعم، كانت  
تجربة لا أريد ان تتكرر. كانت تجربة صعبة،  
لقد وضعتنني في كابوس ساسكيا وأأسوا ما  
فيه هو عدم معرفتي بمصيرك، إن كنت على  
قيد الحياة او ميتة، ان وجدت شخصا آخر...  
ستنان هكذا، ساسكيا. سبع منه وتلات وثمانون  
يوما بالتحديد. لقد عدلت الأيام، أيام الحرمان  
والأمل والخوف...»

«أنا ...»

غيمون الصيف

قاطعها قائلاً: «لا تقولي متأسفة ثانية.»  
نظرت إليه بالم وتدم وبعيدين مغورقتين  
بالدموع: «ماذا ت يريدني ان أقول؟»  
«تعودنا على مناقشة الأمور.»

«هذا كان في السابق...» وانهمرت دمعة على  
خدتها. مد يده بسرعة ومسح دمعتها، تتمت  
بصوت أخش وحنون: «لاتبك، لا أتحمل رؤيتك  
وأنت تبكين.» وانحنى نحوها يحاول تقبيلها.  
ابتعدت عنه غاضبة.

لا تحمل روبي لها. عاد غضب دومينيكو كموج  
بحر في يوم عاصف. احست بغضبه العنيف  
فعاد الرعب إليها. نظرا لبعضهما البعض  
ثم تغيرت الأحوال حين سمعا جايimi متوجه  
نحوهما.

أفلتها دومينيكو، إستدار وتوجه نحو كابينة  
القيادة.

قال جايimi: «آسف لإنتظاركم». وقفز إلى  
القارب.

نظر فلم ير سوى ساسكيا: «إلى أين ذهب؟»  
لم تستطع الكلام فقط أومأت برأسها باتجاه  
الكابينة دون ان تنتظر الى جايimi.  
«هل تضايق من تيري؟ لقد لاحظت ذلك. حاولت  
الإفلات منه ايضا. ولكن تيري استمر بالكلام.

يريدني ان أكلم اليساندرو لكي يدع وكالة الرحلات تستعمل الفيلا خاصة! لا بد أنه مجنون إن كان يظن اليساندرو سيقبل، أمل فقط ان لا يكون قد تسبب في إحباط مشاريعنا».

دار محرك القارب، فاحسأ ان المركب يرزل تحت اقدامهما. ظهر دومينيكو وقال لجايبي: «تفصل»، ثم نظر الى كيا وقال: «تعالي الى الكابينة واجلسني، سأتحرك قريبا بسرعة ولا اريدك ان تقعفي في النهر او ان تصيبني رأسك بوقوعك على ظهر القارب».

اطاعت بهدوء وبعد دقيقة بدأ القارب يمخر عباب الماء داخل قناته جيدوكا متوجها نحو الأمام. وبدأ القارب يسیر بسرعة يمخر عباب الموج طافرا. كان جايبي يحمل معه كتاب دليل سياحي في جيبي فتحه وبدأ يقرأ: «قناة برنيتا تقطع الأرض من فوسينا... سنكون هناك قريبا بمثل هذه السرعة. هناك فلل على حافتي القناة على بعد متوازن بنيت منذ قرون. من عصر النهضة الى ما بعد ذلك. الأغاثيا يانون الى هذه الأماكن للهروب من الحرارة وكسيل الصيف في المدن. لاسبعين تكون فينيس مقفرة، عدا الفقراء...»

قالت ساسكيا: «الذين لا يتحملون مصاريف العطل..»

بدأت سرعة دومينيكو تخف تدريجياً، نظرت الى الخارج فرأى أنهم يدخلون قناة برنيتا، وكان الخروج الى ظهر القارب آمنا الآن. فرأى امامها القارب الخاص بالحرس الشخصي.

قال جايبي فجأة: «انظري!» رأى من خلال مجموعة من الاشجار البعثرة، فيلا من الصخور القديمة يعلوها قرميد ويدعمها أعمدة كلاسيكية.

نظر جايبي اليها قائلا: «اتظنين بأنه هو؟» وكان القارب أجايه، حيث ابطأ أكثر واقترب من الأرض الخضراء.

صرخ دومينيكو قائلاً لجايبي: «استعد لربط القارب».

نظرت ساسكيا الى الجدران، والأبواب الحديدية الفخمة حيث كان يقف رجل بسترة سوداء ينظر اليهم، عيناه كانت تتنفسان بها ووجهه حال من التعبير، رأته يلوح للرجلين في القارب الآخر، بينما نظر جايبي اليهما نظرة غريبة من الواضح انه لم يكن قد لاحظهما من قبل.

فثار بصوت عال: «من هؤلاء».

«حراسه الشخصيين، جايبي».

لهجة ساسكيا المستهزئة لفقت نظره فنظر إليها مستغربا. قال: «حراسه الشخصيين؟ اتظنين ذلك؟ هل كانوا يتبعوننا منذ ان تركنا فينيس، إذا؟

لم تقولي شيئاً متى رأيتهم؟» سكت حين رأى الرجلين يقفران من القارب ويقفان على الضفة، ظهرهما للبيت ووجههما نحو القناة وعيونهما تتفحص المكان من بقعة لأخرى متقطنة لاي طاريء.

«لاحظت وجودهما في الفندق، إنهم يتبعونا طوال الطريق..» «اظنكم على حق، ألا تظنين... أفترض بأننا لستنا بخطر هنا معهم؟ أعني... اتسائل إن كان يتوقع أي هجوم؟»

غضبت ساسكيا لبراءة ويساطة جايimi، ثم تذكرت وضعها حين قابلت دومينيكو للمرة الأولى، في عالم الناس العاديين مثلها مثل جايimi من الصعب تخيل نوعية حياة أليساندرو. بدا جايimi عصبياً الآن، وخافت ساسكيا أيضاً لأسباب عدة، خائفة من الذي ستواجهه في الفيلا، ومن سيكون هناك.

صرخ دومينيكو: «أربطه الآن.» فقفز جايimi إلى الضفة، بدأت ساسكيا بإرتداء حذائها الخاص، حيث كان الممر موحلاً. وقف دومينيكو يراقبها، قال مستاءً دون أن تنظر إليه: «هل والدك هنا؟» «لماذا؟»

لم تستطع النظر اليه وسألت مرة ثانية: «هل هو موجود؟» «لا»، ثم انفجر قاتلاً: «ماذا حدث في ذلك اليوم ساسكيا؟ لم يخبرني أبي، ولكنني أعلم بأنه حدث شيء بينك وبينه. هل قال لك ما تسبب برحيلك؟» نظرت إليه من دون ان تستطيع الرد، وهزت رأسها. كيف يمكن ان تخبره، مجرد الذكرى ترعبها. ليخبره هو ما حدث.

على الأمر، بالجدال او محاولة الالتصاق به، لأنني ان أضطررت سأتكلم أمامه ومن الواضح أنك لا تريدين ان يعلم الحقيقة لأسباب لا تعجبني. هل انت واثقة بأنه رئيسك بالعمل ساسكي؟ أو أنه أكثر من ذلك؟

احسست ساسكي بأنه يقرأ أفكارها ثانية، فأحسست بالإزعاج والغضب. قريراً ستكف عن التفكير، لا يوجد خصوصية حتى داخل رأسها

قالت: لا، دومينيكو، لست مهتمة بجايimi، ليس بهذه الطريقة أنا معجبة به وأحبه كصديق ولا شيء آخر.

«علاقة افلاطونية» بين رجل وإمرأة؟ لا تقل لي بذلك لا تؤمن بذلك، او ان ذكرك بما قلته لي ذات مرة عن سكريتك! كان صوتها حاداً وفي عينيها مسحة من الغيرة. ضاقت عيناه، وقال بحثان: «كلوديا؟ افضل سكريرة لدى، افتقدتها كل يوم منذ ان تركتني».

دهشت ساسكي للخبر، سالت: «تركتك؟ لماذا؟» لم تحب يوماً سكريترتها، والتي كانت تصرفاتها مزبعة الى ابعد حد. كلوديا فورلي كانت جميلة، سيدة حساسة في الثلاثين من عمرها. كانت تعمل لدى دومينيكو لثمانى سنوات ومن الطريقة التي كانت تنظر بها اليه، ساور الشك ساسكي

## الفصل الرابع

«لماذا تخافين لمجرد التذكر؟»، كان صوت دومينيكو خافتًا وبعناء، وكانت لا يريد ان يخفيها، ولكنه مازال يؤثر بها فأخذت نفسها طويلاً متألمة. «ماذا؟»

«هذا ما كنت تفكرين به، أليس كذلك؟ بأن الأمر يخيف حتى لمجرد التفكير؟» قالت هامسة: «انت تقرأ أفكارى...». كانت بيضاء كورقة وعيناها كحفرتان سوداويات.

قال: «أعلم بما يجري، ولكن بين الحين والأخر استطيع ان اعلم بما تفكرين به، ربما لأنني امضيت وقتاً طويلاً خلال السنتين الماضيتين محاولاً تصحيح ما جرى بيننا. ساسكي لماذا لا تخبرني عن الذي حدث ذلك اليوم؟»

ارجوك توقف عن الكلام بهذا الموضوع، جايimi يراقبنا من الأفضل ان ننضم اليه.» تعمق بكلام غاضب ومتضايق عن جايimi، استدار وقفز الى اليابسة ومد يده نحوها لمساعدتها. لم يترك يدها، أمسك بها، شدّ عليها: «ساسكي، يجب ان نتكلم خلال وجودك هنا، علينا التخلص من جايimi لكي يكون حديثنا خاص. لا تصعيبي

يوجد علاقة بينهما، ولكن دومينيكو أصرَّ على النفي. قال ذات يوم: لم تكن تعجبني بالطريقة التي ظننتها. وصدقته حينها ورغم ذلك مازالت على يقين بأنَّ كلوديا كانت مغرمة به، حتى لو لم يعلم.

سكت دومينيكو للحظة، وفجأة أحست بغمامة سوداء في عقله وتفكيره، وغضب. نظرت إليه، لتعلم ما به الآن. إستدار وقال: «آه، لقد تزوجت..»

قالت ساسكيا وهي تتبعه: «تزوجت؟» إنَّ كان دومينيكو غاضباً فهذا يعني بأنه كان يهتم لأمرها دون أن يدرِّي. لقد اعترف بأنه يعتقد أنها أحسست بالغيرة. هل كان على علاقة بكلوديا؟ إنَّ كان كذلك، متى؟ قبل زواجهما؟ هل كذب عليها حين قال بانتها لاتعجبه؟ أمَّ ان العلاقة أتت بعد ان تركته؟ هل استعماله بكلوديا لتخفف عنه الصدمة؟

يمكنها ان تلومه لو فعل؟

نظر دومينيكو يميناً ويساراً وقال: «لا، ساسكيا.»

ظلت أنها لم تسمع باقي كلامه قالت مرتبكة: «آسفه؟ أنا...»

«لم يكن لي أي علاقة مع كلوديا.» ثم مشى نحو جايimi الذي كان ينظر إلى الأشجار متوجباً.

تنفست ساسكيا الصعداء. الأمر يحصل طوال الوقت، يتدخل دومينيكو ويعرف بالذى تفكر فيه

وكذلك مشاعرها. لم يكن كذلك حين تزوجاً. كان أعمى لا يرى ما يدور داخلها، حتى حين كانت توضّح مشاعرها، لم يتفهمها، أما الآن فإنه يلحظ عواطفها قبل أن تظهرها. التغيير أربكها.

اسرعت ساسكيا لتحقق بجايimi ودومينيكو. توقف المطر، السماء مازالت ملبدة بالغيوم مع وجود إنفراجات طفيفة تتسلل أشعه الشمس من خلالها.

فتحت الأبواب الحديدية، ولكن حين دخلوا أعيد تسكيّرها ووضعت الأقفال عليها. سرت قشعريرة في جسدها لقد كرهت العيش هكذا، وتكره الشعور بما كانت تعانيه.

لم ينتبه جايimi لأي شيءٍ. كان متشوّقاً للدخول إلى الحدائق خصوصاً حين رأى صف أشجار الكرز المزهرة التي تفصلهم عن البيت.

من خلال الأشجار، يمكن رؤية مساحة حضرة تنتهي عند بناء أبيض أنيق والذي لمحاه عند القناة، البناء المستطيل الكلاسيكي، النوافذ متباينة بتناسق.

سأل دومينيكو بعد ان رأاهما يحدقان به: «اتريدان رؤية المنزل أم الحديق أولاً؟»

تردد جايimi محatarاً بين الحدائق التي هي عشقه وبين إحساس آخر يدفعه لرؤية المنزل لأنَّ معظم

الزائرين يفضلون ذلك أولاً. قال أخيراً: «حسناً... كما تريده... ماذا تزيد ان نشاهد أولاً؟» نظر إليه دومينيك نظرة جافة وقال: «سأدعوكما للغداء، لذا يمكننا ان ندع المنزل لفترة بعد الظهر».

ارتاحت أيسارير جايمي وأضاء وجهه وقال: «سيكون ذلك رائعاً، شكراً، انا متاكد بأنّه جميل و... نحن هنا لنقدم النصيحة بخصوص الحدائق على كل حال».

وساروا جميعاً يمرون بين أشجار الكرز، توقف جايمي ليتحقق حوله كانت الحدائق دون إعتناء وممراتها مبعثرة.

«أخبرتك بأنّها لم تتمّ منذ سنوات... لم تكن تبالغ، ولكن يمكننا بوقت قصير ان نزيل الشوائب ونعيد لها جمالها السابق».

«وهذا ما قررت».

«كما تعلم، لا يمكنك إصلاح حديقة قبل مرور سنة على الأقل. إذا عليك مراقبتها خلال الفصول الأربع لتكون فكرة عن محتوها».

«بالضبط، المزارعون لدي سيكون لديهم الوقت الكافي للعمل في بقية المنزل وقطعة الأرض المجاورة التي اشتريتها».

«هل هذه جابونيكا؟»

«ليس لدى أدنى فكرة، لست مزارعاً، ولهذا أريد خيراً مختلفاً بتلك الزهور الإنكليزية. رأيت مثلها في بيوت الريف الإنكليزية منظرها جميل أيام الصيف».

«آه، حقاً! هل لديك فكرة عن اللون الذي تريده؟ البعض يفضلها بيضاء، او صفراء، او حمراء. لقد صيغنا حديقة زهور بيضاء لأحدهم منذ فترة قصيرة، أليس كذلك ساسكي؟ كانت رائعة».

«الأزهار ليست كلها ذات عطر، ان كنت تبحث عن اللون لا يمكنك ان تثال الرائحة ايضاً».

«ولكن ان اردت الإثنين معاً يمكننا ان نجد الزهور المناسبة، والمسألة هي في معرفة الزهور. وسنكون سعداء بإرسال كتب الزهور الخاص بنا، مع تصريحتنا بالنباتات المناسبة حيث يمكنك الإطلاع على كل ما لدينا وتأخذ خياراتك».

«لدي كتاب عن الزهور في مكتبتي، وقد اطلعت على بعضها، هل لي ان اصطحب مساعدتك لكتبتي وأريها الزهور التي تعجبني بينما تكتشف الحديقة وتعطيك رأيك عن أفضل الطرق لإعادة إحياء التصميم الأصلي للقرن السادس عشر؟»

فتحت ساسكي فمهما لتعترض، وأعصابها متوتة ولكن جايمي سبقها قائلاً: «بالتأكيد، سأكون حراً بالتجوال، أليس كذلك؟ اعني هل المكان

آمن للإكتشاف؟»، ونظر نحو البوابة حيث يقف الحرس. أجاب دومينيكو: «آمن تماماً، في هذه الأرض... لا تقلق». وضع يده في جيبه أخرج هاتفاً. ثم أعاد الهاتف إلى جيبه وقال لجايمي: «مشرف الحدائق سيأتي للقالك، يتكلم الانكليزية بطلاقة، وسيكون سعيداً بمرافقتك».

«هل اخبرته بأننا سنتهم بحديقة الزهور؟ هل هو... اعني... اتظن بأنه سيدل الأغراب يعيشون بعمله؟»

ضحك دومينيكو: «لقد عمل في إنجلترا في مزرعة كبيرة لستين، لا داعي لقلق». إستدار فرائى رجلاً يركض مسرعاً نحوهم: «أه، ها هو!» كان في الأربعين من العمر، طويل، نحيل، لوحظ الشمس بشعره، بشرته تدل على رجل اعتاد العمل تحت أشعة الشمس معظم النهار. قال دومينيكو بسرعة: «بياترو بالداكي... هذا جايمي فورستر، يدير حديقة مركبة في إنجلترا».

لم يقدم ساسكيا أو أن بياترو نظر إليها أو سأل عنها. نظرت إلى الأرض، وإبیض وجهها. بياترو لم يتغير، كان عليها أن تعرف بأنه سيصبح معه لفترة العمياء به. ترى كم من الأشخاص

اصطحب معه إلى فينيس؟ وهل سيكون الجميع مثله، دون أي تأثير على وجوههم؟ ولكن بياترو حالة خاصة، كان لطيفاً معها منذ البداية، وهو رجل هادئ، مهذب، قادرًا ما يتكلم، ولكنه صبور وطيب.

لم تكن ساسكيا في الأصل سيدة مجتمع انكليزية، في الواقع كانت تعمل بالحدائق، وهكذا كانت تكسب عيشها، لأنها كانت فقيرة وليس غنية. لقد اختارت العمل في الهواء الطلق لأنها تكره عمل المكاتب.

بعد زواجها من دومينيكو إفتقدت عملها، افتقدت متعة ان تعود منهكة من عملها لساعات. كانت تراقب بياترو لأشهر قبل ان تطلب منه ان يدعها تعمل معه بين الحين والآخر.

لم يستطع بياترو إخفاء دهشته. ولكنها كانت زوجة صاحب العمل. في البداية راقبها بحذر متوقعاً ان تقطف الأزهار وتتمتع بأشعة الشمس. ولكنها أدهشتة بما لديها من أفكار وخبرة فوقي بها ومع الوقت عملاً سوياً.

كانت تقرّ إلى الحديقة بحثاً عن ملجاً بالطبع؛ لا بد وأن بياترو لاحظ ذلك، ولهذا كان لطيفاً معها، وكان يحس بمشاكليها، فتاة صغيرة تعيش في بيت ضخم. بعض الخدم لم يكونوا طيبين أو

متعاطفين بتأثير من العائلة، كانوا ينظرون إليها كوضيعة دون نسب أو مال أو عائلة. كانت تأمل بأن لم يكن أحد من هؤلاء هنا.

قال بياترو: «سنبداً من المرات الطويلة، هل انت جاهز؟»

«نعم، شكراً». ثم نظر إلى ساسكيا وسألها: «ستكونين بخير؟»

ابتسمت له،  
«أراك لاحقاً».

نظر دومينيكو إليها وقال: « علينا ان نصعد بعض السالم للوصول الى المنزل، ولكن هناك بعض الحشائش والطفيلييات ربما تسبب إزعاجاً إنتبهي».

طار عصفور كبير فجأة من بين الأشجار ومرأ أمام وجه ساسكيا. احست بريشه على وجهها، تراجعت صارخة. إنقط لها دومينيكو جسده كي لا تقع، مد ذراعيه حولها، تارجاً لثوان على الدرجات، ولكن دومينيكو إستطاع تثبيت قدميه.

سألها: «هل انت بخير؟»  
كانت دقات قلبها سريعة وثقيلة ولم تستطع التنفس. تمالكت نفسها، فاحسست به، بدفنه، ودقات قلبه، نفسه السريع، وبقوه جسده.

كان ممسكاً بخصرها بيده، ويدها باليدي الأخرى

أكملاً السالم، وصلاً بأمان إلى مستوى الأرض.  
حاولت ساسكيا الإفلات من قبضته، ولكن دومينيكو تمسك بها أحنى رأسه يريد تقبيلها.

قالت هامسة: «لا». وأشارت برأسها.  
امسك بوجهها عند ذقنها ورفع رأسها لتواجهه.  
لم تكن ساسكيا ترید ذلك، كانت تخاف رؤية وجهه.

اغمضت عينيها، كانت تعرف ما يحس به ولا حاجة لأن يتكلم. قال غاضباً وهو يهزها: «انظري الي».

فتحت عينيها، وتلاقت نظراتهما، فزفرت نفساً حاداً لما رأت داخل عينيه ثم قبلها... وضاعت. حتى عندما كانا يتشارحان بعنف كانا ينسيان كل شيء حين يجمعهما العناء، لوقت قصیر يضيقاً برغبة حارة تجمعهما. بعض الاحيان ظلت ساسكيا بآن هذا كافياً. لقد خدعت نفسها حين ظلت بآن زواجهما سينجح لهذا الأمر فقط، مما جعلها تحمل الألم والمراارة في حياتها... في النهاية، علمت بآن الرغبة ليست هي الحب، ولهذا رحلت.

لقد عادت الآن إلى الفخ القديم، مسجونة بالعاطفة، استسلمت، تقبله بحرارة، تلمسه، وشعرت بالدم يتدفق في عروقها من جديد.

عندما رفع دومينيكو رأسه، كانت ضعيفة كقطة صغيرة، ترتجف، مقطوعة النفس، تشعر بدوران، بقيت ممسكة به لكي لا تقع أرضاً. أحسست بـ ينظر إليها فخبث رأسها في سترته، أحسست بـ مشاعره.

ساد صمت طويل. انفجر دومينيكو قائلاً: «لماذا؟» فتحت عينيها ونظرت إليه بربع.

كان وجهه قاتماً، غاضباً، وعياه كالجمر تحرقانها. سأله للمرة الثانية: «لماذا؟» وهو يهزها بحيث مال رأسها إلى الخلف والأمام عدة مرات: «لماذا تركتني؟» كيف يمكنك أن تفعلي بي ما فعلت؟ الملاحظة التي تركتها لم تذكر أي شيء!» كيف يمكن ذلك؟ اتصدقين بـأني ساذعك ترحيلين هكذا؟ كان يجب أن تعلمي بـأني ساجن، أفكـارـيـنـ تكونـنـ، ما حصل لك... يجب أن تعلمي ما فعلت بي باختلافـكـ هـكـذاـ. لاـ أـذـكـرـ بـأـتـيـ ذـقـتـ طـعـمـ النـوـمـ للـلـيـالـيـ، لمـ استـطـعـ إـنـ أـعـمـلـ، أوـ حتـىـ التـفـكـيرـ فـيـ الـعـلـمـ، كـنـتـ منـهـارـاـ قـلـقاـ عـلـيـكـ، خـصـوصـاـ لـعدـمـ مـعـرـفـتـيـ بـسـبـبـ رـحـيلـكـ. لـمـاـذاـ مـاسـكـيـاـ؟ـ»

استمعت إليه نادمة، متاثرة بـأـحـاسـيـسـهـ وـبـالـهـ الـبـادـيـ عـلـىـ وجـهـهـ. فـجـأـةـ عـادـتـ إـلـىـ رـشـدـهـ، تـذـكـرـتـ يـوـمـ رـحـيلـهـ، أـلـهـاـ وـخـوفـهـ وـتـعـاستـهـ. إـنـهـ يـرـىـ مشـاعـرـهـ وـيـعـمـيـ عـنـ مشـاعـرـهـ. هلـ حـاـولـ انـ

يرى احساسـهـاـ مـنـ وجـهـ نـظـرـهـاـ هيـ؟ـ لاـ،ـ بالـطـبعـ لمـ يـفـعـلـ،ـ إـنـهـ يـلـومـهاـ فقطـ،ـ كـلـ ماـ حـصـلـ كـانـ خطـاـهـ هـكـذاـ يـرـىـ الـأـمـورـ.ـ كـرـرـتـ ماـ قـالـ بـهـوـهـ:ـ «ـلـمـاـذـاـ رـحـلـتـ؟ـ لـأـنـهـ كـانـ عـلـىـ الـهـرـوبـ مـنـكـ».ـ

نظـرـ إـلـيـهـ وـكـانـهـ تـلـقـىـ لـكـمةـ عـلـىـ مـعـدـتـهـ،ـ إـيـضـ وـجـهـ،ـ فـتـحـ فـمـهـ وـقـطـعـ أـنـفـاسـهـ.ـ اـفـلتـهـاـ مـنـ قـبـضـتـهـ،ـ إـرـتـفـعـتـ يـدـاهـ عـلـىـ جـانـبـيهـ.ـ تـرـاجـعـتـ إـلـىـ الـخـلـفـ خـانـقـةـ مـنـ اـنـ يـضـرـيـهـاـ.ـ عـيـنـاهـ كـانـتـ سـوـدـاوـيـنـ تـنـبـخـيـطـ فـيـهـاـ اـحـاسـيـسـ الـإـنـفـجـارـ الـبـرـكـانـيـ.ـ

قالـ:ـ «ـلـمـاـذـاـ؟ـ»ـ ...ـ مـاـذـاـ تـقـولـينـ،ـ وـمـاـذـاـ تـعـنـيـنـ؟ـ»ـ «ـكـانـ يـجـبـ عـلـىـ اـنـ اـتـرـكـ،ـ لـمـ أـعـدـ اـحـتـملـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـيـ العـيـشـ مـعـكـ وـأـنـاـ أـعـلـمـ بـأـنـكـ تـلـومـنـيـ عـلـىـ؟ـ...ـ»ـ

لمـ تـسـتـطـعـ إـلـسـتـمـارـ بـالـكـلـامـ فـانـهـرـتـ دـمـوعـهـاـ،ـ جـفـ حـلـقـهـاـ وـيـدـاـتـ تـرـجـفـ بـعـنـفـ.ـ تـقـدـمـ بـخـطـوـةـ نـحـوـهـاـ وـيـدـاـ يـتـحـسـسـ مـاـ بـهــ.ـ مـدـتـ يـدـهـاـ لـتـمـنـعـ دـوـمـيـنـيـكـوـ مـنـ التـقـدمـ أـكـثـرـ.ـ قـالـتـ غـاضـبـةـ:ـ «ـلـاـ!ـ لـاـ...ـ لـاـ تـلـمـسـنـيـ...ـ»ـ وـمـسـحـتـ دـمـعـهـاـ بـيـدـهـاـ مـحاـوـلـةـ اـنـ تـهـدـيـءـ مـنـ ثـوـرـتـهــ.ـ لـإـ تـنـكـرـ الـأـمـرـ دـوـمـيـنـيـكـوـ.ـ اـعـلـمـ بـأـنـكـ لـتـقـيـ تمامـاـ كـمـاـ لـتـقـيـ حـيـنـ وـقـعـتـ...ـ وـ...ـ وـفـقـدـتـ...ـ يـوـمـ

الحادية. صرخت في وجهي، قلت باتني عديمة الإهتمام، ما كان يجب ان أعمل في الحديقة». «هذا ليس صحيحاً ساسكيا، لم أفعل... أنا متأكد باتني لم أصرخ في وجهك. حسنا، كنت مستاء...»

«غاضب! كنت غاضباً! لا تدعني باتني كاذبة، او مخطئة».

مرر يده في شعره وقال: «افترض باتني كنت غاضباً ولكن ليس منك فقط لأنك غامرت بالعمل في الحديقة وأنت حامل، ولكنني متأكد باتني لم أصرخ في وجهك».

«ولتكن فعلت، إن ظننت بأنك لم تفعل فذلك لأنك لا ت يريد ان تتذكر عن وعي او لا وعي. وبالنسبة لي العمل في الحديقة... تبا، لم يكن باستطاعتي الاستلقاء على كتبة لتسعة أشهر فقط لأنني حامل!»

«لو فعلت لكنت انجذبت حملك بسلام».

«هذا ليس عدلاً. كيف تظن ان معظم الناس يتصرفون؟ إنهم يستمرون في تنظيف منازلهم، والذهاب للعمل، والتسوق والإهتمام بالحديقة، ويعيشون حياة طبيعية ويحصلون على أطفال أصحاء. تعرضت لحادث دومينيكوا لم يكن ذلك غلطه مني، إنهم المطر وكانت مسرعة للداخل

فرأته قدمي ووquette، كان يمكن ان يحصل ذلك في الشارع أثناء التسوق او في أي مكان آخر. كان حادثاً دومينيكوا ولكنك لمتنى لأجله!» بدأ صوتها بالإرتجاف: «لن أنسى وجهك، نظرت إلي وكأني تكرهني».

«كيف تصورت ذلك، تعلمين باتني أحبك! ان ضايقتك، انا أسف، صدقيني هناً آخر شيء ممكن ان أفعله. كنت سعيداً جداً بهذا الطفل ورغبت بمجيئه كثيراً...»

«اتظن باتني لم أكن ايضاً كذلك؟» «أعلم بأنك كنت راغبة به وكم تأثرت لفقدانه، ولكنني صعقت ساسكيا. عندما علمت الخبر جن جنوني وهرعت الى المستشفى».

قالت والمرارة على وجهها: «آه، نعم. دخلت الغرفة ونظرت إلى بكرة وظننت بأنك ستضربي، وفكت إلى جانب السرير تصرخ على حتى هرعت المرضيات لغرفتني وهن خائفات مثلّي، وظنّ الجميع بأنك ستضربي».

«لم أضرب امراة يوماً في حياتي! كيف تهمي بي بذلك؟»

«لم تر وجهك حينها! كنت قادرًا على الإقدام على فعل أي شيء! أخذتني حتى الموت».

«كنت مصدوماً ساسكيا، انت غير عادلة. لقد

سمعت ما حصل ولم أعرف تماماً ما حصل، لم أعلم كم كنت مريضة، كنت قلقاً و... آه، لم اعرف كيفية التعامل مع ما كنت أحسه. لا أحد يعلم الرجل كيف يتأقلم مع مشاعره في الألم، والخسارة والخوف... ولكن كيف ظلنت باتني أكرهك، لطالما قلت باتنك تستطعين قراءة أفكاري، كان يجب أن تعلمي باتني أحبك، رغم غضبي.»

«لأنني كنت أحس بمشاعرك لذلك علمت ما يدور بداخلك.»

«وماذا لو كنت مخطئة؟ وماذا لو أذلك لم تلتقطي مشاعري كلها وليس قسماً منها؟ قد أكون حينها غاضباً ولكن هذا لا يعني باتني لا أحبك أو لست قلقاً عليك... حين أقلق، أغضب إلا تعلمين ذلك؟»

«الآن يمكنك التعبير عن حبك بطريقة أخرى؟ أيتوجب إظهاره بالغضب؟»

«لم أفكر بالأمر من قبل. تعلمين بأن عائلتي تحمي ذاتها أربع وعشرين ساعة في اليوم، وهذا النوع من الحياة يدفع إلى القلق والتوتر. لقد عايشت التوتر طويلاً، إنها عادة.»

«وهل هذا يفسر حالة والدك أيضاً؟ نظر إليها نظرة حادة وقال: «عاجلاً أم آجلاً

عليك ان تخبريني ما قاله والدي لك يوم رحيلك ساسكيا. أعلم بأن شيئاً ما حصل دفعك للرحيل.»

«منذ البداية كان والدك واضحاً بأنه لا يريدني وباتنك إقترفت خطأ فادحاً. قال لي ذات مرة باتني انفع لشيء واحد فقط. أنا شابة وصحتي جيدة، وبإمكانني إنجاب الأطفال، وحين خسرت طفلتي غضب أكثر منك. لقد فشلت في الشيء الوحيد الذي يظن والدك باتني ممكناً أن أفعله». رأت نظرت دومينيكو المتعجبة وقالت: «آه، لا تنظر إليَّ وكأني مجونة... قال لي ذلك حرفياً. قال باتنك تزوجت فقط لتنشئ عائلة، وإن لم أكن قادرة على إنجاب أطفال اصحاء، فربما ستتخلص مني وتحاول مع أخرى.»

أخذ نفساً طويلاً، قال: «ساسكيا...» حاول ان يضم ذراعه حولها، ولكنها تراجعت بعصبية.

قالت رافضة: «لا تفعل... ارجوك.»

«ساسكيا، أنا أسف لما قاله والدي، لا يجب أن تهتمي للأمر.»

«كنت أعلم باتنه على حق؛ ذلك اليوم في المستشفى... كنت غاضباً جداً...»

«بالطبع كنت أريد اطفال، ولكن من أجل أبي لا من أجلي، كان يتوق إلى أن يصبح جداً، وأنا مخلص

له وأ يريد بسعاده لقد أصبح عجوزاً كما تعلمين». قالـت: «نعم». وابتسمت بمرارة.

«إنـ هاجسـة لأنـ والـدي انجـبتـ الـبنـاتـ الـواحدـةـ تـلوـ الآخـرىـ حتـىـ جـنـونـهـ دونـ أيـ صـبـيـ،ـ وـفـيـ النـهاـيةـ انجـبـتـنـيـ.ـ سـاسـكـياـ إـنـ رـجـلـ عـجـوزـ وـلـهـ أـفـكارـهـ الـخـاصـةـ،ـ فـاتـ الـأـوـانـ لـتـغـيـرـهـاـ اوـ تـغـيـرـهـاـ.ـ تـصـرـفـاتـهـ وـرـثـتـهاـ اـنـتـ عنـهـ.ـ»

«لاـ،ـ سـاسـكـياـ!ـ هـذـاـ غـيرـ صـحـيحـ.ـ عـقـلـيةـ وـالـدـيـ مـخـتـلـفةـ عنـ عـقـلـيـتـيـ.ـ وـلـدـ فيـ عـالـمـ أـخـرـ،ـ قـبـلـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ وـقـبـلـ تـغـيـرـ خـارـطـةـ أـورـوـبـاـ وـظـهـورـ عـائـلـاتـ كـثـيرـةـ كـعـالـلـتـاـ.ـ كـانـتـ اـيـطـالـياـ عـرـيقـةـ،ـ نـشـأـ وـالـدـيـ فيـ عـائـلـةـ عـرـيقـةـ وـأـرـسـتـقـراـطـيـةـ.ـ هـوـسـهـ هوـ عـائـلـتـهـ،ـ عـائـلـتـتـاـ قـدـيـمـةـ.ـ وـكـلـماـ كـانـ الـعـالـمـ يـتـغـيـرـ أـمـامـهـ كـلـماـ اـزـدـادـ تـعـلـقـاـ بـالـمـاضـيـ وـقـيمـهـ.ـ آنـهـ مـقـتـعـ بـاـنـ الـمـيرـاثـ لـذـكـورـ.ـ وـيـتـبـرـهـ ذـاتـ قـيمـةـ بـالـنـسـبـةـ لـكـيـ تـبـقـيـ الـعـائـلـةـ وـإـسـمـهـاـ.ـ لـوـ اـنـجـبـتـ أـمـيـ الـذـكـورـ أـوـلـاـ لـكـانـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ يـغـيـرـ وـالـدـيـ مـبـادـئـهـ وـلـكـنهـ أـلـآنـ أـصـبـحـ عـجـوزـاـ.ـ»

أخذـتـ تـفـكـرـ سـاسـكـياـ بـذـاكـ الـيـومـ الـآخـيرـ،ـ الرـجـلـ الـعـجـوزـ وـعـنـفـهـ،ـ خـوفـهـ،ـ وـاعـتـقادـهـ بـاـنـهـ إـنـ لمـ تـفـرـ هـارـبـةـ سـيـقـلـتـهاـ.ـ لـمـ يـفـهـمـ دـوـمـيـنـيـكـوـ حتـىـ الـآنـ...ـ فـقـدـ وـالـدـهـ كـلـ الـمـنـطـقـ.ـ وـصـلـ الـىـ حـافـةـ

الجنونـ،ـ هـوـسـهـ بـعـائـلـتـهـ وـامـتدـادـهـ دـفـعـهـ إـلـىـ هـذـهـ الـحـافـةـ.

«أـينـ يـسـكـنـ الـآنـ،ـ مـازـالـ فـيـ مـيـلانـوـ؟ـ»  
«إـنـ يـسـكـنـ خـارـجـ مـدـيـنـةـ بـادـواـ.ـ»

ادـهـشـهـاـ هـذـاـ،ـ مـنـ المـؤـكـدـ أـنـ جـيـوـفـانـيـ يـسـكـنـ وـحـيدـاـ؟ـ رـبـماـ كـانـ يـسـكـنـ مـعـ أحـدـيـ بـنـاتـهـ؟ـ كـانـ يـسـكـنـ مـعـ دـوـمـيـنـيـكـوـ حـينـ تـزـوـجـ،ـ وـيـقـيـ السـبـبـ الـوـحـيدـ لـإـنـهـيـارـ زـوـاجـهـ.ـ العـيـشـ مـعـ اـقـرـاءـ الزـوـجـ لـمـ يـكـنـ يـوـمـ سـهـلـاـ،ـ وـهـوـ مـسـتـحـيلـ مـعـ رـجـلـ مـسـيـطـرـ وـصـعـبـ الـمـزـاجـ مـثـلـ جـيـوـفـانـيـ أـلـيـسانـدـرـوـ.

«هـلـ بـعـتـ الـمـنـزـلـ فـيـ مـيـلانـوـ؟ـ»

«لـاـ،ـ شـقـيقـتـيـ آـنـاـ وـعـائـلـتـهـاـ يـسـكـنـونـ هـنـاكـ.ـ زـوـجـهـ يـدـيرـ فـنـادـقـ مـيـلانـوـ وـالـمـنـزـلـ مـلـأـنـ لـهـمـ.ـ»  
ابـتـسـمـتـ سـاسـكـياـ وـسـالـتـ:ـ «كـيـفـ حـالـ آـنـاـ؟ـ كـانـتـ دـائـماـ الـأـلـفـ بـيـنـ اـخـوـاتـهـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ،ـ اـعـنـيـ...ـ طـبـيـةـ وـمـرـجـةـ.ـ كـنـتـ اـسـتـمـتـعـ بـالـتـسـوـقـ مـعـهـ.ـ كـانـتـ تـشـعـ مـرـحاـ.ـ حـقاـ إـشـتـقـتـ إـلـيـهـاـ.ـ»

«إـلـاـ آـنـاـ،ـ سـاسـكـياـ؟ـ لـمـ تـشـتـاقـيـ لـيـ؟ـ»

اشـاحتـ يـوـجـهـهـاـ،ـ مـرـتـحـةـ وـنـفـرـتـ إـلـىـ سـلامـ الفـيلـاـ:ـ «أـظـنـ بـاـنـكـ قـلـتـ أـنـكـ سـتـرـيـنـيـ الـمـنـزـلـ؟ـ»  
«أـيـ شـيـءـ،ـ وـلـكـنـ آـنـ لـاـ تـتـحـدـثـ عـنـيـ؟ـ حـسـنـاـ،ـ سـاسـكـياـ،ـ تـعـالـيـ وـشـاهـدـيـ الـمـنـزـلـ.ـ»  
امـسـكـ بـيـدـهـاـ فـتـمـلـمـلـتـ.ـ قـالـ لـهـاـ بـسـخـرـيـةـ:ـ «لـاـ اـرـيدـكـ اـنـ تـقـعـيـ

ثانية، أليس كذلك؟» أضاف وهو يبتسم: «تذكري،  
استطع قراءة أفكارك، الآن».

تجاهلت كلامه، فضحك. حين وصلنا على السالم  
بدأ بالكلام عن المنزل وتاريخه، قال: «تذكري  
ساسكيا بأن اصل آل أيساندرو يوناني، رغم  
أن عائلتنا أقامت في إيطاليا منذ زمن بعيد.  
هذا المنزل بُني لعائلة تدعى سلفاني ولكن خلال  
القرن التاسع عشر أحد أجدادي تزوج الإبنة  
الوحيدة للعائلة صاحبة الفيلا، وحفيدهم كان عمي  
الذي مات وأورثني المنزل. كان لديه إيان توقياً  
خلال الحرب وتركوه دون وريث، الرجل العجوز  
المسكين. أصبح وحيداً بعد وفاة زوجته، ولهذا  
السبب يبدو المنزل مهملاً».

حين دخلت الصالة ركض كلب من الداخل  
نحوهما، تجمدت ساسكيا في مكانها. توقف  
 أمامها وبدأ يصدر أصواتاً غريبة.

«سوكي! آه، سوكي!» ثم نظرت إلى دومينيكو  
وقالت: «لماذا لم تخبرني بأنها هنا؟»

«لم تسألي عنها».

تحسست الكلبة، ثم وقفت بينما بقيت الكلبة تدور  
 حولها فرحة برؤيتها ثانية، قالت: «هذا مدهش...  
 حتى بعد كل هذا الوقت، مازالت تذكريني!»  
 «الكلاب لا تنسى». كانت لهجتها حادة، ناقدة.

وسمعت ما لم يقله، ولكنها لم ترد. لن نقول له  
 بأنها لم تنساه أيضاً. لقد اطلعته على الكثير  
 من مشاعرها.

## الفصل الخامس

يستلزم الأمر ساعة حتى انتهي دومينيكو من تجواله وساسكيا داخل المنزل. وبينما كانا ينزلان السالم الرخامية إلى القاعة دخل جايبي من الباب ووقف متجمداً، فاغرا فاه، حين نظر إلى البيت للوهلة الأولى، اطلق صفارية. ضحك ساسكيا: «اعرف ما تشعر به الآن! إنظر حتى ترى بقية المنزل». راقبها دومينيكو متردعاً.

اكتشفت ساسكيا خلال مرورها من غرفة لآخرى بأنه أحب المنزل، رغم أنها انهرت بالرخام والمساحات والصدى والأسقف العالية. يمكنها القول بأنها أحسست بالدفء هنا، وليس بال الوحشة، مما اعطتها شعور يفاجئها بانها مرحبا بها. ربما يكون الأمر مختلفا خلال الشتاء، ولكن الآن، والفصل ربيعاً والشمس تملأ المكان ورانحة الزهور تعلل الجو عليها الإعتراف بأنه شيء رائق.

سؤال جايبي دومينيكو مندهشاً: «هل حقاً تسكن هنا؟ ألا يشبه العيش في متحف؟» التقطت ساسكيا أنفاسها، متطرفة ان ينفجر

دومينيكو بوجهه. رأت عيناه تلمعان، وأحسست بالغضب في داخله، لم يظهر دومينيكو لجايبي بعد طبيعة، كان ممتعا في الفندق أمس وفي القارب صباحاً ولكن طبعه مختلفاً كلّا، ولا يستطيع إخفاءه، حيث انه بلغ مراده بجلب ساسكيا الى هذا البيت.

ادرك جايبي بأنه تكلم بطريقة غير لائقة. استدرك الأمر قائلاً: «حديقتك الآن رائعة. لقد رأيتها كاملة. اتعلم بأن لديك انواع نادرة من النباتات؟ وجدت...»

تلاشى صوت حين رأى كيف كان دومينيكو ينظر إليه متفحصاً إيهما من رأسه حتى حذاءه الملوحل.

قال دومينيكو: «يبدو انك أحضرت الكثير من حديقتي معك إلى هنا».

نظر جايبي إلى نفسه وملابسه المغبرة والممتلة بالأعشاب.

«وضعي مزري، أليس كذلك؟» وافق جايبي على الفور: «المكان كالأدغال في الخارج، أنت تعلم. كلما اسرعت بترتيبيها كان افضل، ولكن لا تدع رعاة البقر يفعلون ذلك، لأن تحت تلك الأعشاب الطفيليّة يوجد نباتات خاصة وفريدة من نوعها وستكون مأساة إن خسرتهم قبل أن يقرر الخبرير

أي من الشتول ذات قيمة للاحتفاظ به وأي منها لا ينفع».

قال دومينيكو متضايقاً: «شكراً للنصيحة».

احمر وجه جايimi مرتika. ومن يستطيع ان يقوله؟ ليس لديه فكرة لماذا مضيفه ينظر إليه هكذا.

قبل ان تتدخل ساسكيا، تكلم دومينيكو: «قبل الغداء سنتناول شيئاً بارداً، اظن انك تود ان تنظف نفسك وتفقسلي». وضغط على زر في الجدار الرخامي وعلى الفور فتح باب ودخل منه شاب مرتديا بدلة سوداء.

دهشت ساسكيا وحدقت به، لم تره من قبل لم يعمل لدى دومينيكو في السابق.

قال دومينيكو: «السيد فورستر يريد الاغتسال وتنظيف ملابسه، أدريانو».

نظر الشاب الى جايimi وقال: «اتبعني، سيدتي».

نظرت ساسكيا الى جايimi نظرة ذات معنى ثم مشي مع الخادم. سالت ساسكيا: «كم من الخدم جلبت معك من ميلانو؟».

نظر إليها نظرة متحفصة: «لا أحد».

اتسعت عيناها: «لا أحد منهم؟ ولكن... ألم يكونوا

مع العائلة طوال سنين، البعض منهم؟».

«ما زالوا يعملون لدى العائلة، بقوا مع أنا وزوجها».

«أه، لا يريدون ترك ميلانو؟»

أجاب بحزن: «انا لا أريدهم».

«هل كان يتوجب عليك النظر الى جايimi وكأنه عدو لك، او ان تتكلم معه هكذا؟ هذا ليس عدلاً، جايimi شخص لطيف، إنه لطيف وطيب القلب. كان صديقاً جيداً لي».

«ربما أني لا أحبه فكرة ان يكون لزوجتي صديق شاب». تناقضتنا بالأمر أمس دومينيكو. لماذا لا تتقبل كون جايimi صديقاً؟ «حتى لو فعلت، فانا لا أحب ذلك».

«اتعلم في أي قرن نحن الآن؟ نحن في القرن الواحد والعشرين! الرجال والنساء يعملان معاً طوال الوقت، ويهبون في عظامهم سوية من دون ان يكون لذلك أي علاقة. عصر الحرير حيث كان يحضر الاختلاط بين الرجال والنساء قد ولّى. أعمل عند جايimi، لا شيء آخر، لم تتكلم مع بعض الاما تسمعه، لم يلمسني وسيصاف بالذعر ان قلت له باتنك تشک فيه بأنه يرغب بي».

صرخ، فترجعت الى الخلف حيث الصالة التي قال لها بأنهم سينتتناولون الشراب فيها. لحق بها وأغلق الباب وراءه أمسك بذراعها وسحبها نحوه وقال: «ما من رجل في العالم ينظر إليك ولا يرغب بك».

توقف عن الكلام هكذا.  
لماذا؟ إنها الحقيقة.

اقترب منها أكثر، تراجعت خطوة، قال  
هاماً: «أعرف كيف يفكر الرجال. أنت جميلة  
ساسكيا، لا تقولي بأن فورستر لم يلاحظ ذلك،  
لأنني لن أصدقك إلا إذا كان أعمى». «ضحك وقلت: «انظر، سأخبرك، إنه لا يستطيعوني،  
لست من النوعية المفضلة لديه». «وهل هو من ذلك النوع بالنسبة إليك؟»  
«لا، دومينيكو».

تلاقت نظراتهما، توقف تنفسها وبدأ عقلها يُصدر  
تحذيرات عن الحب الذي كان بينهما.  
«ساسكيا». قالها برغبة وأحسست بأن الصور التي  
رسمها خيالها كانت وكتها مأخوذة في خياله  
وقد بعثت من أفكاره.

ادرك دومينيكو، انه يستطيع ان يعرف ما يدور  
في فكرها، مثلها تماماً.  
قالت هاماً: «كيف تفعل ذلك؟» خائفة من  
الاعتراف بالذى حصل.  
«لست أدرى، أنت الخبرة، أنت قولى لي!» كاتت  
لهجة نصف جادة وغاضبة.  
تجهم وجهها: «ولكن على الأقل انت تعلم بانك  
تعرف كيف؟»

حرك رأسه: «لا، كنت بالسابق، هذا كل ما في  
الأمر، وعلمت حين بدأت تتذكرين ايضاً. كان  
الأمر غريباً كسماع صدى، وعلمت بائنا تشارك  
نفس الأفكار». اشاحت بنظرها عنه.

علم بماذا كانت تفكّر، بما أحسّت، وما تريده.  
تابع: «لا بأس، كل تلك الاشارات لا تهم، المهم  
هذا». امسك يوجهها بكلتا يديه وقبلها.  
دهشت للمفاجئة، لم تستطع المقاومة. لحظة  
الرغبة بينهما مفاجئة وملحة.

بعد دقائق افلتها ونظر إليها قائلاً: «كنت أعلم  
ذلك. مازال إحساسك تجاهي هو نفسه، وكذلك  
أنا حبيبي، عودي إلى ساسكيا. يمكننا أن نبدأ  
من جديد هنا، في بيـت جـديـد بـعيـداً عـن كـل شـيءـ  
يمـكـن أـن يـعـيـد ذـكريـاتـ المـاضـيـ». للحظة أحسـتـ بالـحنـينـ، كانـ عـلـىـ حقـ فقدـ أـحـبـتهـ  
كـثـيرـاـ، الـآـلـمـ وـالـعـذـابـ زـادـاـ مـنـ عـمـقـ هـذـاـ الحـبـ.  
وـالـأـسـوـاـ أـنـهـ رـغـبـتـ بـهـ، وـلـكـنـ لـسـتـنـ خـلـتـ مـرـتـ  
بعـدـ اـهـلـكـهاـ، لـاـ يـمـكـنـهاـ أـنـ تـعـيـشـ التـجـرـيـةـ مـرـةـ  
أـخـرىـ. صـرـخـتـ مـتـنـتـلـةـ: لـاـ اـسـتـطـعـ». اـبـتـعـدـتـ  
عـنـهـ وـوـقـقـتـ خـلـفـ مـقـعـدـ أـنـيـقـ. حـاـوـلـ التـقـدـمـ  
بـاتـجـاهـهـاـ: لـاـ أـقـىـ بـعـيـداـ».

توقف، وبوجه شاحب قال: «حسناً. ولكن على الأقل

تململ دومينيكو فاقدا صبره: «ساسكيا، كل شيء في الدنيا فيه مخاطرة، الحياة هكذا، حتى عبور الشارع معك أن يكون خطراً فإحتمال الحادث موجود في أي لحظة.»

«عائليتك سوف ترتاح إن حصل ذلك.»  
«لم يكونوا ودودين معك، أليس كذلك؟ أنا أسف ساسكيا. لو علمت... لو ذكرت أي شيء... ولكنني لم أعلم ما كان يجري، وكيف أساوّوا معاملتك، لم يتصرفوا أمامي بما يدل على افعالهم. فقط حين رحلت أخبرتني أنا بما عانيت منهم:»

ارتاحت لسماع ذلك: «أنا كانت دائئماً لطيفة معى، كانت الوحيدة.»

كانت أنا تشبه دومينيكو وتقاربه سنًا أيضًا. سوداء الشعر حنطاوية اللون، ممتلئة الجسم ولديها شخصية محببة، تحشك كثيراً، تتكل بسرعة، ممتلئة سعادة محبوبة من زوجها وأطفالها. حياة أنا كانت صاحبة، لديها عائلة ترعاها وتعمل بجهد في مجال الاعمال الخيرية الخاصة بالطفولة، تقيم حفلات ساحرة، تحضر المسارح والحفلات الغنائية ومع ذلك كانت تهتم لأمر فتاة صغيرة مثل ساسكيا. لقد عملت جاهدة لكي تشعرها بأنها فرد من عائلة إيلساندرو.

قال دومينيكو: «كانت معجبة بك. حين احتفيت من

فسري لي الأمر ساسكيا. ألا تستحق تفسيراً؟ لماذا تركتني؟ ولماذا لا تزورين العودة؟»  
غمز الألم عينيها الزرقاء: «انت تعلم لماذا! انت تزير أطفال، وأنا لا استطيع الإنجاب... لا احتمل المخاطرة ثانية.»

راقبها بحنان، كان محظاً ومشتتاً قال: «ما من سبب يمنعك من عدم إنجابك أطفال أصحاء ثانية.»

قال لي الطبيب باتي ساواجه مشاكل في حمي الثاني وأنت تعلم ذلك.» وانهمرت دموعها، أمسك دومينيكو الكرسي وأبعدها جانبًا. تقدم نحوها وضمهما إليه: «لا تبكي حبيبي، لا تبكي.» للحظة اتكلت عليه مرتجفة، منتحبة، ولكنها لم تستسلم لضعفها. عليها ان تكون قوية كافية لتحمل وضعها دون اللجوء إليه.

راقبها دومينيكو، بوجه شاحب ومتأنٍ، قال: «ساسكيا، كان هذا رأي طبيب واحد، ربما كان مخطئاً. وبما اننا نعلم بأن لديك مشكلة الآن بامكاننا التصرف. سوف نطلب أفضل مساعدة طبية للمشكلة.»

قاطعته بصوت جرى: «لا، لن أعيد التجربة مرة أخرى. لا احتمل الأمل ثم اللحظة الكريهة حين تعلم عدم جدوى ذلك.»

دون ترك أي رسالة تصايبت. لم أر في حياتي أنا تبكي كما بكت حينها». عضت ساسكيا شفتها وأحسست بالذنب: «هل حقًا بكت؟ آه، كان علىَّ ان أكتب لها، شارحة ولكن أنا لم تخطر ببالي، كان علىَّ ان افعل، كانت لطيفة معي، ولكن كان علىَّ الرحيل على الفور. لم يكن لدى وقت لأذكر في أي شيء آخر».

حدق دومينيكو، فيها وقال: «سبب شيء قاله والدي؟ اعلم بأن شيئاً ما حدث يومها. حين علم والدي بذلك رحلت صدم وأصيب بجلطة». اخذت نفسها عميقاً، واتسعت حدقتا عينيها: «جلطة؟ وهل كانت خطيرة؟»

«لعدة أيام ظننا بأنه سيموت، ولكن تدريجياً تحسن، لكنه لم يعد كما كان، يستطيع الكلام والسير قليلاً، ولكنه بات عاجزاً الآن، أبيض شعره والجلطة أثرت على شكله أيضاً، إذ أن وجهه إلتوى بارتخاء واضح مما غير ملامحه..»

«انا جداً آسفـة، دومينيكو، كان والدك ممتنٍ حيوية من الصعب تخيل ذلك..»

«قوته إنخفضت في الحقيقة، إنه رجل آخر الآن وكان الربع الذي في داخله إنخفض يوم رحيلك..»

قالت مكررة بأسف وندم: «أنا آسفـة. أعلم كم يعني والدك بالنسبة لك..»

قال: «أنا أحب والدي، أحب أخواتي أيضاً. العائلة هي أهم شيء في الحياة، وما من شيء يهم أكثر. ولكن عائلتي تتضمنك أيضاً، أنت جزء من العائلة الآن ولـى الأبد. والجزء الأهم بالنسبة لي لا تعلمين ذلك. أنت زوجتي..» نظراته كانت حادة ومعبرة: «أنت تعلمين بأن عقيدتي لا تعرف بالطلاق».

احتـت رأسها والندم يأكلـها: «بالتأكيد يمكنك ان تأخذ إستثناءً»، «لا تكوني سخيفـة، هذا ممـكن، إن لم نكن متزوجـين شرعاً، ستـقين زوجـتي إن عـشت معـي أمـ لا، كان علىـ أخواتي التـنبـه لهـذا الأمر».

«وـهل كانـ هذا سـيحدث فـرقـاً؟ كـنـ غـاضـبات لأنـكـ تـزوـجـتـ منـ فـتـاةـ منـ دونـ مـالـ أوـ نـسـبـ. أـظـنـ بـأنـ لـديـنـ خـطـطـ منـ أـجـلـكـ...»

«لـقدـ حـاولـنـ مـرارـاـ التـدـخـلـ فـيـ حـيـاتـيـ، وـمـنـ حـينـ لـآخرـ يـعـرضـنـ عـلـىـ فـتـياتـ، وـلـكـنـ لـمـ أـكـنـ مـهـتمـ، وـأـخـواتـيـ يـعـلـمـنـ ذـلـكـ..»

«هـذاـ لـنـ يـرـدـعـ أـخـواتـكـ عـنـ التـفـكـيرـ بـيـانـ صـائـدةـ ثـروـاتـ، اـسـتـطـعـتـ أـنـ أـنـصـبـ لـكـ فـخـاـ وـأـتـزـوـجـكـ. عـداـ أـنـاـ، أـخـواتـكـ يـكـرهـنـيـ، لـيـسـ لـدـيـ قـاسـمـ مـشـتـركـ مـعـ أـيـ مـنـهـنـ، أـنـاـ لـأـ اـعـرـفـ اـصـدقـاعـهـمـ، لـيـسـ لـدـيـ خـلـفـيـةـ عـائلـيـةـ اوـ صـدـقاءـ لـمـ أـذـهـبـ

يُوماً للترزق في غشتاد أو شاهدت مبارزة بولو في ويندسور، أو ذهبت لمشاهدة الجزر مع العائلات الاميركية الثرية. اتيت من عالم آخر، من طبقة أخرى، طبقة الذين يخدمون، يطبخون لهن الوجبات، وينظمون حداهنهم. على كلّ كن يعلمون بأنّي أعمل لأعيش، وسببت لهن الإحراج..»

بدأ غاضباً للغاية: «هل هذا ما أخبرتك به؟»

«لم يكن هناك من داع لقول أي شيء»، تصرفاتهن كانت واضحة أكثر من الكلام.»

«لماذا لم تقولي أي شيء عن معاناتك لي؟ كنت سويفت الأمر. تقول أنا بآن ماريا تريزا كانت الأسوأ، مما لم يدهشني، إنها فتاة ثقيلة الظل، مغرورة وكانت المحرضة دائمًا للجميع! كارلا وأوريانا لم يكن لديهما أي شأن في تدبير حياتهما، إنهمما يتبعان تعليمات ماريا تريزا ويقلدانها في كل ما تفعل.»

كان هذا صحيحاً، الفتاتان كانتا مجرد صدى لأختهن الكبرى المتسلطة، فقط أنا أصغرهن كانت متحررة من قيود وسلطنة ماريا تريزا، وذلك لفارق السن الكبير بينهما، حيث نشأت مع دومينيكو وكأننا متفقين.

«ولكن يبقين أخواتك، وكما قلت الآن، العائلة أولاً. لقد جعلن حياتي مستحيلة، ولكن والدك...»

أحسست بالتساؤل في نظراته، والغضب على وجهه.»

«... أخبربني ساسكيا. عاجلاً أم آجلاً ستخبريني... ما الذي قاله والدي ذلك اليوم والذي دفعك للرحيل؟ لا بد وأن الأمر كان جدياً لكي يصاب بجلطة بعدها. فلا تتظاهري بأن الأمر بسيط من الواضح بأنه غير ذلك.»

بدأت تتحرك قلقة، منزعجة جداً غير قادرة على قول أي شيء، والكلبة سوكى أحسست بما تعانى ساسكيا فرفعت رأسها وحركت أذنيها وبدأت تهمدر بأصوات خافتة مستعدة للدفاع عن ساسكيا إن لزم الأمر.

في هذه اللحظة سمع وقع خطوات على الأرضية الرخام في القاعة ودخل جايimi إلى الصالة حيث كانوا متواجدin.

حدقت ساسكيا بدهشة، كانت مندمجة كلياً مع دومينيكو لدرجة أنها نسيت أن جايimi متواجد في المنزل.

تجهم وجه دومينيكو حيث أنه هو الآخر نسي وجود جايimi، وقد أزعجه وجود جايimi خصوصاً في هذه اللحظة.

سوكى الكلبة استشعرت شيئاً ما في الجو حيث أن سيدتها غير سعيدة وسيدها غاضب، وهنا

ان تترك ساسكيا او ان تبتعد عن ناظرها.  
نظر جايimi إلّي حازراً: «ا، ولكنها معجبة  
بساسكيا أليس كذلك؟»  
تنهدت ساسكيا، وأصبح وجهها خالياً من  
اللون.

نظر جايimi إلّيها، ثم الى دومينيكو محاولاً إيجاد  
تفسير لما يجري وقال: «تعني انك اعطيتها الكلبة...  
حسناً... هذا كرم منك، ولطف منك، ... ولكن...  
حقاً، اعني، لن نتمكن من اصطحابها معنا الى  
انكلترا، انت تعلم... سوف يكون... مستحيلاً،  
كما ترى...»

سكت حين اصطدم بصمت دومينيكو الذي أجابه  
أخيراً: «لم أهدّيها لساسكيا، إنها في الحقيقة  
لها، إنها كانت هدية لساسكيا منذ أن كانت جرو  
صغير».

فغر جايimi فمه، ثم اغلقه. نظر الى دومينيكو  
محدقاً ثم بساسكيا: «عن ماذا تتكلّم؟ لا أفهم...  
ساسكيا، ماذا يعني؟ وكيف كان الكلب ملك  
منذ أن كان جرو؟ لم تذكر يوماً بأنك كلب،  
وماذا يفعل كلبك هنا، على أي حال، إن كان  
لك؟»

تجمدت ساسكيا ولم تستطع ان ترد باني كلمة.  
لم يكن دومينيكو ألي مشكلة.

رجل غريب في المنزل. لم تنتضر الأوامر، فقفت  
نحو جايimi تزيد تمزيقه.  
صرخ جايimi مرتعباً وتراجع نحو الباب الثانية.  
قالت ساسكيا مرتعبة وأعصابها ترتجف: «دعه  
وشأنه... اجلسني سوكى!»  
صرخ دومينيكو مصدرًا أمره للكلبة: «اجلسني!»  
جلست الكلبة مطبيعة ولكنها كانت تهمدر اصواتاً  
وهي تراقب جايimi.

مسح دومينيكو رأسها وقال: «كلبة مطبيعة». كانت  
كرر جايimi شاحباً مرتعداً: «كلبة مطبيعة. كانت  
ستقلع يدي من مكانها».  
«كانت تدافع عنا، هذا عملها، إنها كلب حراسة  
وأنت غريب، لم تعلم سبب وجودك فقررت عدم  
النظر إليك».

قال جايimi: «حسناً، حتى أنا لم ترق لي ابداً. لن  
أشعر بالامان في وجودها، إنها ترمقني بنظرة  
غريبة وكأنها تخبط كيف ستبدأ بالتهامي. هل  
يمكن إستبعادها اثناء وجودنا هنا؟»  
وكانها فهمت ما قاله عنها جئت امام ساسكيا  
وووضعت رأسها على قدمها.  
فتبسمت ساسكيا.

«هل رأيت المشكلة؟ نحاول إقناعها بالذهاب الى  
مكان آخر، ولكنها رفضت ذلك، إنها لا تزيد

قال دومينيكو بصوت هادئ وواضح: «إنها زوجتي». بدا جايimi وكأن صاعقة اصابتة، قال مكرراً: «إنها زوجتك؟» وكانه يحاول ترجمة الكلمات بلغة أجنبية «إنها... عن ماذا تتكلّم» ما الذي يجري هنا؟ ساسكي؟ تقدم نحوها قائلاً: «ساسكي، ما معنى كل هذا؟»

وقف سوكى مستعدة للإنقضاض وأصدرت أصواتا.

وقف جايimi جاماً.

صرخ دومينيكو: «أجلسي..».

جلست الكلبة، منتظرة أوامر أخرى ومراقبة جايimi بانتباها.

حضر دومينيكو كرسياً ووضعه خلف ساسكي: «وأنت من الأفضل ان تجلسني أيضاً قبل ان تتععي أرضاً».

اطاعت ساسكي. كان على حق، كانت ترتجف أحست بالإعياء والتعب.

نظر إليها دومينيكو بعين متفرحصة ثم إنطلق إلى الطاولة الموضوعة في الغرفة التي عليها ابريق عصير: «أخلتنا سنتناول شراباً قبل الغدا». فورستن، ماذَا تريِد ان تشرب؟ هناك خيار واسع... كرز، اناناس، فريز...»

رماء دومينيكو بنظرة سريعة وقال: «يمكنك الجلوس ايضاً، ولكن كن على حذر».

قال جايimi: «ولماذا تتركها في المنزل إن كانت خطيرة؟»

«احتفظ بها لأنها خطيرة، ولكنها لا تهددني او ساسكي او أي شخص تعرفه. إنها تحمي أصحابها وتهاجم الغرباء».

«بمن فيهم الزوار، من الواضح».

ساد الصمت، نظرت ساسكي من خلال النافذة للخارج، لم يكن من الضروري ان يبلغ دومينيكو الأمر لجايimi بهذه الطريقة وهو يعلم بعدم رغبتها بأخباره. هذا هو دومينيكو تعود إصدار الأوامر والناس تطيع، عديم الصبر، ومتاكد من صوابية رأيه دائمًا.

جلب لها كوب عصير، دفعه بين يديها وجلس بجانبها على كرسى آخر مقابل جايimi عند الطرف الآخر للغرفة.

«إشربى قليلاً، ساسكي». رافعاً الكوب نحو فمهما.

أخذت جرعة من الكوب، وعلى الفور أحسست بهدوء اصحابها.

شرب جايimi من كوبه وسأل: «هل ستشرحي الأمر ساسكي؟»

قال دومينيكو ببرودة: «انا سأشرح..»  
«أريد سماع الأمر من ساسكيا..»

نظر الإثنان نحوها. وبصوت خافت قالت: «كنت سأخبرك قريباً، جايمي، ولكن... أكره التكلم عن الماضي. أنا زوجته، ولكنني تركته منذ سنتين وعدت إلى إنكلترا، واستعملت إسمي الأصلي ثانية، وعملت معك. أسف لأنني كذبت، فقط للتمويه لم أخبرك باتي متزوجة. كنت خائفة من ان يجدني دومينيكو، لم أرد ان يعلم احد باتي متزوجة..»  
«هل كان يهددك، ساسكيا؟ ان كنت خائفة منه، لا تخافي بوجودي الى جانبك..»

قال دومينيكو: «لا تحاول اخذ المبادرات لصالحك يا صديقي..»

قام جايمي ووقف بوجهه: «لست خائفاً منك، او من كلبك..»

تدخلت ساسكيا قائلة: «توقف عن هذه الأفعال! جايمي انت لا تفهم الوضع، ولا أريد التكلم عنه، إنه لا يهددني، ما من شيء من هذا القبيل... ارجوك، لا تتدخل..»

ساد الصمت، حدق جايمي بها بتركيز ولكنه لم يقتنع. في مكان ما سمع رنين هاتف، ثم توقف. بعد لحظة رن جرس هاتف الغرفة وتوجه دومينيكو نحوه.

«أظن باتني قلت لك لا أريد أي مقاطعة او ازعاج..»  
ثم، «ماذا؟ أه... حسناً، اعطيتني وقت لأصل هناك، حول المكالمة إلى غرفة المكتب..» ووضع السماعة مكانها وقال: «اعذراني لحقيقة..» ثم غادر الغرفة. حين غادر الغرفة، جلس جايمي، ووضعت ساسكيا يدها على رأس سوكبي ودفعتها للجلوس إلى جانبها.

نظر جايمي صامتاً محدقاً بساسكيا للحظة ثم قال: «لا أصدق ذلك، لم تخبريني كل هذا الوقت! اعرفك منذ عامين ولم تذكري زواجك خصوصاً برجل كهذا!»

«لا احتمل الكلام عن الموضوع، الجروح كانت غير ملتفمة..»

«اتحملين الكلام الآن؟»  
«لا..»

«أه، حسناً. لا احتمل حقيقة انك لم تتكلمي بالأمس... حين دخلت تلك الغرفة ورأيتني معه... لا بد انها كانت صدمة حياتك، ولكنني لملاحظ شيئاً ظننت بأنك في مزاج مضطرب، تشعرين بالخجل... وطوال الوقت... بصدق ساسكيا. لا استطيع تجاوز الأمر، هل علم باتنك في فينيس؟ هل اخبرته بوجودك هنا؟»

«لم يكن لدى أي فكرة عن وجوده هنا. ظننت

دخل دومينيكو مسرعاً ونظر الى ساسكيا: «كان والدى على الهاتف، وهو يطلب روبيك ليعتذر لك على كل ما سببه لك من الام. يريدك ان تسامحه قبل ان يموت ساسكيا.»

بانه ما زال يسكن في ميلانو. كانت رؤيتها صدمة لى...».

«لا بد وأنها كذلك. ولكن... مهلا، لا يمكن ان يكون الأمر مصادفة حين تكلم معى على شرفة الفندق... هذا فظيع وغريب..».

«لقد رأنا في المسرح، ليل أول أمس..»، «وهذا ما يفسر ألم اسنانك المفاجيء؟ رأيته، ايضاً! صممت على المغادرة وعدت مسرعة الى الفندق. ولا عجب بانك بذوق محمومة! اانا متفاجئ لأنك لم تستقللي الطائرة الى الديار!»، «فكرة بالامر، ولكن بعد فوات الاوان. كان بإمكانه الحصول على عنوانى من منظمي الرحلة. كان سياحقي بي..».

قال: «اتعنين بأنه لا يعرف عنوانك طوال هذه السنين؟» وصفر متوجبا.

«لا بد وأنك خائفة حتى الموت منه لتخبئي هكذا. ما يحصل الان؟ هل احضرتك بنفسي الى الفخ؟ تبا ساسكيا، كان عليك إخباري! لما كنت فعلت بك هذا..».

«لست خائفة منه جايبي، اخبرتك بذلك، ليس الأمر كذلك. دومينيكو لا يمكن ان يؤذيني. وحين رأني ثانية كان الأمر محظوماً. يجب ان تتواجه وتنتكلم ولا علاقة لك بالأمر..».

## الفصل السادس

آخر صورة في خيالها عنه كانت عنيفة، مليئة بالكراهية لاحقها ليل نهار لأشهر وما زالت تخيفها حين تذكرها.

قالت متعرضة: «ولكن لدينا يوم واحد متبقى في فينيس! الوقت لا يسمح بالذهاب الى بادوا والعودة».

قال بسرعة: «يمكنا الذهاب بالطائرة الخاصة. لن يستغرق ذلك طويلا. سنعود وقت العشاء، إن ساعدنا الحظ».

لن تستطيع الإفلات. لن يدعها، فهو مصمم على ان تقابل والده. جايمي كان ينظر إليها تائما لا يعلم ما دار بينهما وبين والد دومينيكو. لقد وقعت بفخ وعاجزة.

«شانتي معي؟»

«سأكون هناك، لن اتركك وحيدة معه، اعدك». احسست ساسكيا بأنه ليس غاضبا منها. قالت: «متى سنرحل؟»

«سننحدر أولا، الطائرة ليست هنا، على ان اتصل بالقططان ليأتي لإصطحابنا. ستفتمكن من الرحيل عند الثالثة، آن تطول زيارتنا، حيث انه يتبع بسهولة. وبعدها سنعود». نظر إلى ساعته وتابع: «سوف اطلب إعداد الغداء فورا».

بينما كان دومينيكو يطلب الغداء، مال جايمي

رد فعل ساسكيا المفاجئ، كانت ان حركت رأسها رافضة: «لا، لا، لا استطيع. لا تطلب مني ذلك... لا استطيع مواجهته...»

كانت عينا دومينيكو دامعة، ولم ينطق بكلمة لحقيقة.

حق جايمي بسكاسكيا متدهشا ثم قال: «ساسكيا! لا اصدق بانك انت من يتكلّم، ان كان والده يحضر، بالتأكيد... أعني، ساسكيا الأمر مختلف أليس كذلك؟» ثم سكت ونظر الى دومينيكو: «آسف، هذا ليس من شانتي بالطبع، ما كان يجب ان اتدخل بأمور عائلية فقط لأنني اعرف ساسكيا كصديقة، اما اليوم فانا اتلقي منها المواجهة تلو الأخرى. بإمكانني ان اقسم بأنها آخر امرأة في العالم ممكن ان لا تسامع إنسان يحضر».

قال دومينيكو: «لا اظن بأنها ستفعل، حين تفك مليا».

رمقته بنظرة. يعلم بأنها ستذهب رغم ان كل عصب من اعصابها يرتد خوفا من مواجهة جيوفاني أليساندرو ثانية.

«أه، أنت تعرف القليل من اللغة الإيطالية؟ شهيبة جداً.»

قال جايمي: «شكراً، اعلم القليل عن اللغة الإيطالية.»

مال دومينيكو قليلاً ليملء كوب ساسكيا: «إنه عصير مذاقه لذيد، جربيه..»

ابتلعت قليلاً منه وأطربت رأسها.

قال دومينيكو: «جيد؟» ونظر إلى عينيها.

قالت موافقة: «جيد..»

قال جايمي بصوت مرتفع، محدقاً خارج النافذة: «انظرا إلى أرزة لبيان.» محدقاً بشجرة أرز قديمة، خضراء داكنة أغصانها متباينة بشكل أفقي منتظم.

سؤال دومينيكو: «هل اختبرت كم عمرها؟»  
«اخترت عمرها؟ ولماذا أفعل؟»

«الارزة تبدو قديمة جداً، انظر إلى حجمها، إنها هائلة، ربما تكون قديمة بعمر هذا المنزل. لو كنت مكانك لفحصتها. أنها عملية بسيطة، ومن المدهش معرفة إن كانت زرعت حين بني هذا البيت، أو قبل ذلك.»

نعم، أنت على حق، ربما تكون كذلك.» حدق بالشجرة وكأنه لم ير مثلها من قبل «ساجد خيراً يقوم بهذا الأمر.»

نحو ساسكيا قائلاً: «ساسكيا، أنا أسف، ليس من شائي إنتقادك. أتوقع أن تشعرني بالإحراج من مقابلة والده ثانية بعد فشل زواجك، ولكنك تعلمين بأنك تفعلين الصواب. لا يمكن رفض طلب رجل يحضر.»

نظرت إليه متوجبة، اصطنعت ابتسامة. جايمي رجل محافظ، لو كان مكانها لما تردد في تقديم الراحة والسلام لرجل يموت.

كما تعلم ساسكيا، لم يمر جايمي بتجربة حب بعد، وليس لديه مشاكل عائلية أو بين أصدقائه. أنه رجل سعيد يقوم بعمل يحبه ويعيش حياة يمتعم بها. كيف يمكن لشخص مثله أن يفهم التغasse التي تحتاج الحياة دون إنذار؟ ربما يفهم إن هي فسرت كل شيء ولكنها لا تستطيع ان تخبر كل دقائق حياتها الزوجية السابقة.

اتصل دومينيكو بالقططان، وحين وضع السماعة إستدار نحوهما: «تمت الترتيبات، عند إنتهاء الغداء ستكون الطائرة هنا. هل نبدأ بتناول الطعام؟»

الطبق الأول كان سلطة تحوي أصداف وبلح البحر (ثمار البحر).

قال دومينيكو لجايمي حين سأله عن اسم الطبق: «ثمار البحر؟ تبدو ثماراً شهيبة.»

ثم سال دومينيكو جايبي: «هل اخبرك المزارع اين يريد ان يزرع الازهار؟»  
«نعم، أظنه موقع ممتاز ، ولكن يجب إصلاح الأرض قبل ان تزرع الازهار، لدى المزارع افكارا جيدة جدا عن هذا الموضوع.» ثمتابع قاتلا: «انت جاد بخصوص المشروع إذن ، ولم يكن حيلة كما ظنت لستدرج ساسكيا الى منزلك؟»  
«لا، لم يكن الأمر كذلك.» وتوجه وجه دومينيكو.  
لاحظ جايبي الأمر وقال: «آسف إن ازعجتك، ولكنني ظننت...»

تدخلت ساسكيما: «هل انت متواجح من الذي استخلصه؟»  
استاء دومينيكو من كلامها. «حسناً، ربما لا، ولكن ابني ان يكون لدى حديقة زهور، البناء الحقيقي والتصميم ستقوم به شركة محلية ولكن تصميم الازهار والشتلول سيكون لفورستور من انكلترا. ستعمل مع رئيس المزارعين لدى والذي سيكون المسؤول هنا والذي سيهتم بتصميماته مع الشركة المحلية، ما من داع لعودتك الى هنا ما لم ترغب برؤية العمل متنهيا سيراسيلك رجالى او يتصلوا بك، هل لديك فاكس؟»  
«نعم، لدى. وسنسعد باقامة الحديقة لك، وسوف نؤمن الازهار.»

كان جايبي بالغ السعادة والحماسة، نظر الى ساسكيما وقال: «أه، لم افكر.. هل انت...؟»  
توقف بتrepid ثم سائلها: «هل ستعودين الى انكلترا ساسكيما؟»

تجمد دومينيكو مكانه يراقبها.

قالت دون ان تنظر الى عينيه: «نعم.»

لم يعد يخفيها، لم يتبدل شيء. ربما والده يريد السماح منها ليرتاح، ولكنها تعلم ما تخفيه عائلة اليساندرو تجاهها والتي لن تتغير. ستبقى الغربية، المقطفاة غير المرغوب بها في حياتهم، ربما سيغضب دومينيكو من شقيقاته لمعاملتهم ايها بالسوء ولكن سيبقين شقيقاته، ووالده سيبقى والده، والعائلة اولاً، يمن فيها جميعاً ستبقى دانماً. وهي تعرفه جيداً.

ابتعد دومينيكو عنهم، هذه حقيقة، لن يعيشوا بقربه كما كانا سابقاً في ميلانو، يزورونه دانماً، يتصلون ويدعونه الى منازلهم.

لم ترحب بمواجهة اصدقاء العائلة المغوروين، ولا حتى السيدات المسنات الاستقرارات والرجال المتقدعين اصدقاء جيوفاني، والذين أحسوا بأن دومينيكو تزوج من فتاة أقل منه قدرًا، وكانوا يتضايقون حين يطلب منهم ان يعاملوا تلك الصغيرة بإحترام.

كيف ستطلب منه ان يقاطع العائلة وأصدقاؤه  
القدماء للأبد؟ ما من أحد يمكنه ان يطلب ذلك  
من رجل باسم الحب؟

لم يكن هذا العائق الوحيد في وجه سعادتها. لن  
تجازف ابدا بحملها لطفل. حتى الان، بعد سنتين،  
لم تختلط خساراتها لطفلها. كان إجهاضا مؤلما،  
تعذبت كثيرا وأسوأ لحظة كانت حين اخبرها  
الطبيب الذي رأها في المستشفى، باتها ستواجه  
دائما مشاكل اثناء حملها.

لم تستطع ان تطلب من دومينيكو عدم الانجاب  
مجددا، فهي تعلم كم هو بحاجة الى طفل. ربما  
تذرع بأن هذه هي رغبة والده، الذي يريد ورثة  
لإسم أليساندرو وتزويتهم، ولكن لم تكن هذه هي  
الحقيقة. دومينيكو يريدهم ايضا. إنها متأكدة  
بانه مازال يريد.

بالطبع عدم قدرتها على إعطائه اطفالاً ستنسب  
لها مأساة.

احست بأن دومينيكو يحاول ان يعرف ما تفكير  
فيه، ورات التوتر في تعابير وجهه. وحين يقبل  
فكرة عدم رغبتها بالعودة سيحاول ان يفسخ  
زواجهما لكي يتمكن من الزواج ثانية ويكون له  
أبناء.

الغيرة بدأت تشتعل داخلها وهي تخيل دومينيكو

مع امرأة اخرى يتزوج ثانية، واحدة اخرى  
بين ذراعيه. دفعت بافكارها بعيدا. بينما تابع  
دومينيكو مراقبتها.

قدم ادريانو القهوة فقال دومينيكو: «ادريانو  
سيصحبك الى فينيس، فورستر، مباشرة بعد  
الغداء».

قال جايimi: «شكراً». ونظر اليه نظرة متربدة، ثم  
قال: «ساسكيا ستعود عند العشاء، بالتأكيد».  
«ان حالفنا الحظ». الجواب لم يكن مشجعا.  
لكن جايimi أصر: «منظم الرحلة مسؤول عن  
مكان وجودها، وقت عودتها تعلم مدى دقة هذه  
الرحلات. المسكين عليه التاكد من تحركاتها  
وبتقليتنا طوال الوقت».

«ليست مسؤولا عن ساسكيا، ولا حتى هو.  
سأخذها الى بادوا وأمل ان تعود قبل العشاء  
الليلة. فقط هذا المطلوب منك ان تخبره».

فتح جايimi فمه، نظر الى عينا دومينيكو الفولاذتين  
ثم أغلق فمه ثانية.

حين عاد ادريانو ليرافق جايimi الى القناة، قال  
جايimi لساسكيا: «هل انت متأكدة بذلك ستكونين  
على ما يرام؟»

قال دومينيكو بصوت حاد: «ها أسرع القارب  
ينتظر».

وقف جايامي متربداً، لم تكن قريراً ان يشعر جايامي بالذنب لتركها وحيدة هنا فاقتربت منه وحاولت ان تطمئنـهـ: «سأكون بخير». ثم اخذت تنظر اليـهـ وهو يرحل. سار قليلاً ثم توقف ونظر خلفه، فلـوحـ لها بيده مودعا.

لـوـحتـ لهـ، وـقـالتـ فيـ نـفـسـهـ: المـسـكـيـنـ جـايـاميـ. قال دومينيكـوـ: «أـسـفـ لأنـ ذـاهـبـ منـ دونـكـ». «لـسـتـ مـتـهـفـةـ لـرـؤـيـةـ والـدـكـ ثـانـيـةـ. أـسـفـ لأنـ مـرـيضـ، لـأـرـيدـ لـهـ أـيـ أـذـىـ، وـلـكـنـ لـطـالـماـ اـخـافـنـيـ، وـلـأـصـدـقـ بـاـنـهـ تـغـيرـ».

«نعم، تـغـيرـ. سـاسـكـياـ، لـمـ يـتـبـقـ لـهـ الـكـثـيرـ لـيـعـيشـ، رـيمـاـ أـيـامـ اوـ أـسـابـيعـ. رـيمـاـ عـدـةـ اـشـهـرـ، وـلـكـنـ لـيـسـ اـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ كـمـاـ اـخـبـرـونـيـ. إـنـهـ مـعـجـزـةـ كـيـفـ اـسـتـطـاعـ الـبقاءـ حـتـىـ الـآنـ. أـظـنـ بـاـنـهـ يـنـتـظـرـكـ لـيـخـبـرـ بـاـنـهـ أـسـفـ لـمـ سـيـبـهـ لـكـ مـنـ الـأـمـ».

«أـظـنـ بـاـنـ الـمـرـوحـيـةـ يـجـبـ انـ تـكـوـنـ هـنـاـ الـآنـ». «وـأـدـارـتـ وجـهـهاـ. ثـمـ سـائـلـهـ: كـمـ مـنـ الـخـدـمـ لـدـيـكـ هـنـاـ؟»

«ادـريـانـوـ وزـوجـتـهـ، وـبعـضـ الـفـتـيـاتـ مـنـ الـمنـطـقـةـ هـنـاـ يـأـتـونـ يـوـمـيـاـ لـتـنـظـيفـ الـمـنـزـلـ». وـقـفـ خـلـفـهاـ تـعـاماـ. بدـأـتـ اـعـصـابـهاـ بـالـتوـترـ، إـنـهـماـ لـوـحـدـهـماـ الـآنـ، لـاـ

يـوـجـدـ إـلـاـ زـوـجـهـ اـدـريـانـوـ وـهـيـ فـيـ الـمـطـبـخـ بـعـدـهـ جـداـ عـنـ السـمـعـ. قـالـتـ: «إـتـيـ مـتـفـاجـهـ لـعـدـمـ اـصـطـحـابـكـ أـيـ مـنـ الـخـدـمـ مـنـ مـيـلـانـوـ، الـبـعـضـ مـنـهـ خـدـمـ فـيـ الـعـائـلـةـ طـوـالـ حـيـاتـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟» «رـيمـاـ كـانـ هـذـاـ جـزـءـ مـنـ الـمـشـكـلـةـ، رـيمـاـ ظـلـنـاـ بـاـنـهـمـ اـحـدـ اـفـرـادـ الـعـائـلـةـ وـتـصـرـفـواـ عـلـىـ هـذـاـ الـأـسـاسـ. حـيـنـ اـخـبـرـتـنـيـ أـنـاـ عـنـ تـصـرـفـهـمـ مـعـكـ قـرـرتـ أـلـاـ يـكـوـنـ هـنـاـ اـحـدـ مـنـهـمـ حـيـنـ تـعـودـنـ إـلـيـ لـاـ يـمـكـنـنـيـ اـنـ اـطـرـدـهـمـ سـيـكـوـنـ هـذـاـ التـصـرـفـ غـيـرـ عـادـلـ وـلـكـنـ وـجـدـتـ لـهـ جـمـيعـ عـمـلـاـ ضـمـنـ اـفـرـادـ الـعـائـلـةـ. الـوـحـيدـ الـذـيـ اـبـقـيـتـهـ مـعـيـ كـانـ بـيـاتـرـوـ لـأـنـيـ كـنـتـ اـعـلـمـ بـاـنـكـ تـرـبـاحـيـ لـهـ وـكـانـ طـيـباـ مـعـكـ». «بـيـاتـرـوـ كـانـ رـائـعـاـ، الـوـحـيدـ الـذـيـ كـانـ يـفـهـمـنـيـ».

اـخـذـ نـفـسـاـ عـمـيقـاـ: «تبـاـ، لـمـاـ لـمـ تـخـبـرـنـيـ سـاسـكـياـ؟ لـمـاـ عـانـيـتـ وـحـيدـةـ، وـتـعـذـبـتـ بـصـمـتـ؟ فـقـطـ لـوـ كـنـتـ اـنـتـهـيـتـ لـلـأـمـ...» حـاـوـلـ اـنـ يـضـمـهاـ إـلـيـهـ فـقـفـزـتـ بـعـدـاـ.

قـالـتـ: «كـيـفـ تـدـيرـ أـعـمـالـكـ مـنـ هـنـاـ؟» «لـدـيـ مـكـتـبـ هـنـاـ فـيـ الـمـنـزـلـ، لـمـ تـشـاهـدـهـ، وـقـيـهـ اـحـدـ الـمـتـطلـبـاتـ الـتـكـنـوـلـوـجـيـةـ». اـقـتـرـبـ مـنـهـ اـكـثـرـ، اـبـعـدـ خـصـلـةـ شـعـرـ عـنـ خـدـهـاـ، اـرـسـلـتـ لـسـتـهـ الـقـسـعـرـيـةـ فـيـ جـسـدـهـاـ، لـدـيـ سـكـرـتـيرـتـيـنـ تـائـيـانـ مـعـظـمـ أـيـامـ الـأـسـبـوعـ، فـتـعـالـمـاـنـ مـعـ الـبـرـيدـ وـالـفـاـكـسـ، تـتـقـلـيـاـنـ

الإتصالات، يمكنني ان انجز عملي من خلال الهاتف.» انزلقت يده على ظهرها. فترجعت خطوة. تابع بصوت هادئ: «بعض الأحيان استقل الطائرة الى المطار لحضور إجتماعاً في ميلانو، او أزور أحد الفنادق التابع لسلستنا في ايطاليا.»

إنه خلفه الآن تكاد تشعر بأنفاسه على رقبتها. كان قريباً جداً.

تابع دومينيغو مضيفاً: «نفكّر ان نفتح فروعاً أخرى في أوروبا قريباً. الفنادق العالمية تفعل ذلك الآن. حاول الإمامتداد نحو أماكن جديدة ودول جديدة. العمل في قطاع الفنادق بات يشمل أوروبا أكثر من أن يكون محلياً. مستشاري نصحني بالانتشار والتوسيع او ان أجد نفسي قريباً خارج السوق.»

حاولت التنجي جانباً، ولكنّه امسك كتفيها وسحبها للخلف نحوه، أحْنَى رأسه وبدأ يقبل عنقها. قال: «حلمت بك، اتعلمين، ليلة بعد ليلة.»

اغضبت عينيها. هي ايضاً حلمت به ليلة بعد ليلة. هل حلما نفس الحلم؟

«أتعلمين بماذا حلمت؟»  
«لا.. كذبت لأنها تعلم.»

قال هامساً: «ساسكيا»، وأخذ يقبلها. غمرتها السعادة والأحساس والدف، كأنها تنام تحت أشعة الشمس.  
«لا تفعل ذلك.»  
«فات الاوان.»

انتقضت واستدارتٍ لتركض مرتجفة فتعثرت بكرسي ووُقعت أرضًا.

صرخ: «أنتبهي». وهرع دومينيكو ليلتقطها: «هل تاذيت؟» هرت رأسها وحاولت النهوض. «كنت تستتبّبين بكسر ساقيك، إهدأي ساسكيا». أمسكها بقوّة نحو السجاد، وانحنى عليها. فبدأ قلبها يخفق بسرعة، يصدر اصوات اعتراض. إقترب بوجهه نحوها.

لم تستطع الحراك. فجأة بدا الأمر في غاية الحماقة والجنون أن تبعد عنها ما ت يريد وما تتمقّن. ربما كان ذلك للمرة الأخيرة... المرة الأخيرة يقولها حتى التفكير بذلك. استسلمت له. همس: «ساسكيا... ساسكيا.»

الالم والذاب، الخسارة ومعرفة الذات، تمكّن منها معاً. أحسّت ساسكيا وكأنها تريده ولكنها خائفة.

قال: «مضى وقت طويل ساسكيا... أنا اريدك منذ اللحظة الأولى حين رأيتكم علمت بأنك أنت من

اريد... ساسكيا... لقد حلمت بك طوال سنتين. خفت ان تخفي من حياتي كما تخفي في أحلامي. أخاف ان اصحو ولا أجدرك..» حين رحلت، كانت تظن بأنه يكرهها، غاضب منها بمرارة لخسارة الطفل. الجميع حولها بدوا اداء ينظرون إليها نظرة الاتهام. حتى إنها إتّهمت نفسها. لقد كرهت نفسها لعدم قدرتها على الإنجاب.

كل مرة كانت ترى الآخريات ينجبن أطفالاً، ويلادها هي لا؟ كرهت نفسها: من السهل ان يكون هذا هو إحساس دومينيكو ايضاً. هذا ما تستحقه. حين تفك بالماضي تشعر بأنها نصف مجنونة، ضغوطات زواجه من دومينيكو وترامك الاحداث فوق بعضها، تذكر عائلته لها، الخدم، إجهاضها والكابة التي مرت بها بعد ذلك.

لم تقارب عاطفياً مع دومينيكو بعد الإجهاض، ولكن على العكس ابتعدا كثيراً وحتى لم يتبدلا الكلام.

بدأت تتناول المسكّنات لكي تنام، ولم يعد يشاركتها دومينيكو غرفة النوم. الإكتتاب الذي مرت به حول حالتها الى إنهيار عصبي، معزولة، تخيل اشياء وتوهم. لم تكن

تدري بما يدور حولها، حتى لحظة مواجهة والد دومينيكو وتهديده لها، لم تستطع الاستمرار في العيش مع هذا الكابوس فهربت.

الآن فقط ادركت بأنها لم تتقرب من دومينيكو لتعرف ما الذي كان يمر به عاطفياً، كيف وماداً تركت هذه التجربة من اثر سلبي بتأسسيه، وكيف أنها لم تحاول ان تخفف عنه. ولكنها كانت عمياء، غضب دومينيكو لم يكن منصباً عليها بل على الحظ.

قال هامساً: «سبباً من جديد حبيبتي، في مكان جديد، حياة جديدة، ولقد تأكدت بنفسي من ان كل الاشخاص الذي جرحوك وكل من يذرك بالماضي غير موجودين. من الآن وصاعداً الأمور ستكون مختلفة».

ارادت البكاء. كيف يمكن ان تخبره، بعد الذي حصل بينهما، بأنها لا تتحمل العودة ثانية إليه، ولا تحتمل المعاناة ثانية؟ ما عساها تقول؟ وبينما كانت تناضل لتجد جواباً سمعت أصوات إرتجاجات، وهدير في الجو.

قال دومينيكو: «المروحية. لقد نسيت أمرها». عليها ان ترحل ثانية، ولكن هذه المرة سيكون الوضع اكثر إيلاماً من من المرحلة الماضية. لم تتوقف عن حبه خلال السنتين الماضيتين، الان

قال دومينيكو: «المروحية. لقد نسيت أمرها».

صوت بلکنة ایطالیة: «انت، الیساندرووا انهض، تعالی هنا، او سوف اقجر رأسك». تجمد دومینیکو ثم نهض، حاولت النهوض، ولكن همس قائلًا: «ابقي مكانك، لا تتحرکي». سال الصوت من الطائرة: «من هذه؟» «لا أحد، سکرتیرتی». صرخت ساسکيا وهي جاثية على ركبتيها: «دومینیکو».

دفعه رجل الى داخل الطائرة. رأت رجلين داخل الكابينة. احدهم يعتمر خوذة ونظارة سوداء والآخر جاثم على ركبتيه بمواجهة دومینیکو. كان يضع كيس قماش اسود على رأس دومینیکو ويربيطه عند رقبته.

پدأت ساسکيا تتنحّب.

صوب المسلح بندقیته نحوها وحين بدأ يطلق النار استقلت ارضا بسرعة فمرت الرصاصات فوق رأسها.

علا صوت المروحية وأقلعت.

سمعت صوت دومینیکو يصرخ منادياً إسمها. «ساسکيا! هل اصابك؟ هل جرحت؟» قالت: «انا بخير... اخطائي». وهي مازالت مستلقية ارضاً.

بعد ان ابتعدت الطائرة مساحت دموعها ونظرت

ادركت ذلك. إنها تحبه الان اكثر، فراقة سيكون مأساة.

سألت: «اين هبطت الطائرة، هل بعيداً؟» «لا، مكان الهبوط خلف المنزل لمسافة قصيرة». كان هناك اثنان من الحراس واقفان عند المدخل، وحين مررت مع دومینیکو تفرقوا واحداً من الأمام والآخر خلفهما. إنها تكره هذا الإحساس بالمراقبة طوال الوقت، الملاخصوصية. كانت المروحية ما تزال تدور حين اقتربا، وبدت الطائرة كحشرة عملاقة خضراء مستعدة لهجوم شرس.

حضرها دومینیکو: «ابقي رأسك منخفضاً». ركضا نحو الطائرة، وفجأة رجل من داخل الطائرة ظهر بوجههما حاملا سلاحاً، وسمعـت اصواتاً جمدتها في مكانها. يد دومینیکو دفعـتها بقوـة لتـنزل على الأرض مستلقيـة وألقـى بنفسـها فوقـها ودفعـ بوجهـها نحو الأرض.

لم تستوعـ ما يجري، ثم سمعـت أصوات رشق ناريـ من آلة حربية أوتوماتيكـية، ثم اطلاقـ آخر من مسدسـاتـ. ربما كان السلاح الفردي للحرس، سمعـت صراخـ، صيحـاتـ ألمـ، ثم سادـ الصمتـ. بعد قليل سمعـت

## الفصل السابع

هرع شخص من بين الأشجار متوجهاً نحوها. كانت تصرخ وترتجف. وضائعة. لم تتعود على بياترو للوهلة الأولى. وصل إليها وتتنفسه منقطع. نظر حولها بسرعة فرأى الرجلين ممددان على العشب من دون حراك، ثم نظر إليها قائلاً: «هل أنت بخير؟»

«ركض نحو الرجلين، إنحني فوق الرجل الآخر  
إليه ووضع يده ضاغطاً على وريد رقبته.»

سالت: «مات، أليس كذلك؟»

«لا، إنه حي، أصيب بظهره وكتفه. لا أظن بأن جروحه مميتة.»

ادركت ساسكيَا بأن عليها أن تقوم بعمل ما ولكنها كانت مصدومة، وترتجف بشدة لدرجة عدم القدرة على التحرك.

«لقد أخذوا زوجي، دومينيكو.. أخذوه..»

انتقل بياترو إلى الرجل الآخر، وكان مصاباً برأسه.

قال بياترو: «هذا الرجل في حالة خطيرة، إصابات الرأس دائماً تكون الأسوأ». وأخرج من جيبه هاتف وطلب رقمًا وتكلم.

حولها، حينها رأت الحارسين مستلقيان أرضاً على وجهيهما. لا يتتحركا والدم يسيل من ظهر أحدهما والأخر أيضاً. حينها فقط اعتبرها الربع مما جرى.

لخسن ما حصل، حين رأى الحراس علم ما حصل. نظرت إلى الفضاء، الطائرة اختفت وكذلك دومينيكو. مَاذا سيفعلون به؟ أحسست بالبرد، وتمتنع لو استطاعت ان توقف إرتجافها.

استعادت ما سمعت من بياترو: «لم ار شيئاً، فقط هبوط مروحية، ثم إطلاق الرصاص، بندق اوتوهاتيكية... هرعت نحو باحة الهبوط، وحين وصلت كان كل شيء قد انتهى واحتفى الخاطفون والسيد أليساندرو معهم».

صمت للحظة مستمعاً ثم أجاب: «آه، منذ خمس دقائق؟ ليس أكثر، ركضت حين سمعت الرصاص، رأيت الطائرة تقلع نحو الغرب، نعم، غربي هذا البيت».

لا بد وأنه يتكلم مع الشرطة، ظنت ساسكيما. على كل ستغيط المروحية في مكان ما، لا يمكنها ان تخفي كما يمكن ذلك لسيارة. الشرطة تستطيع ان تقبض على خاطف دومينيكو. لدى الشرطة مروحيات ويستطيعون اقتقاء اثر الخاطفين قبل هبوطهم.

بقي بياترو يتكلم على الهاتف، «السيد أليساندرو معي، لم تصب، ولكننا بحاجة لإسعاف لشخصين

مصابين. لا كلاماً احياء، ولكن الأمر طارئ وحاجة الى نقلهما الى المستشفى بأسرع وقت ممكن، لا لم ننقلهم من مكانهم. نعم، سانتظر بقربهم وسأرسل السيدة أليساندرو إلى البيت. اغلق الخط، ثم نظر إلى ساسكيما. قائلًا: «الإسعاف ستأتي في الحال، والشرطة ايضاً، من الأفضل ان تعودي الى المنزل، ولكن ليس بمفردك سأطلب زوجتي لرافقتك. حاولي ان تتذكري كل شيء عن الرجال الذين اختطفوا زوجك، أي تفصيل سوف يفيد».

تذكرت ساسكيما كل شيء، ولكنها كانت بفكراها مع دومينيكو وأملت ان يكون باستطاعتها التواصل فكريًا معه عن بعد.

هل انت بخير؟ دومينيكو، هل انت بخير؟ هل تسمعني؟ أجبني دومينيكو.

اللحظة ظنت ان ذلك لن يفيد، ثم سمعت صوته وكانه يهمس في أذنها. لا تقلقي. إبقي هادئة، ساسكيما. كيف لها ان تكون هادئة بينما حياته في خطر؟

سألته بفكارها: مَاذا سيفعلون بك؟ لكن هذه المرة لم تلتقي جواباً، إنه لا يجيب. لماذا لا يجيب؟ هل يعلم نوايا خاطفيه؟ تكلم بياترو بالهاتف مجدداً هذه المرة مع

زوجته، كذلك ليو واندريكو أصبيا. لا، لم يموتا، ولكنها بحالة حرج. خطف السيد. من يعلم؟ من الممكن ان يكون اي كان، من أجل فدية سيتصلون، علينا الانتظار. تستطيعين القدوة الى هنا لمساعدة السيدة اليساندرو؟ احضرني بعض الاغطية». خفض صوته وكأنه يهمس وقال: «انها شاحبة، ولا تنتبه بكلمة، اظنهما تحت تاثير الصدمة. لقد رأت كل شيء»، لا، لم تصب، ولكنها تبدو وكأنها لا تعرف اين هي».

اقفل الخط ثانية واستدار نحو ساسكيا: «ستاتي زوجتي حالاً. يجب ان تستريحي سيدة اليساندرو. الشرطة تود التحدث معك، ثم سنأتي بطبعي ليعطيك شيئاً لكى تنامي».

«لا». كانت غير راغبة بالنوم، إنها بحاجة لأن تكون مستيقظة لتكون مستعدة لتلقي أي رسالة او إشارة فكرية من دومينيكو.

احسست بدور مينيكو يراقبها بحذر. «اعلم بما تشعرين به الان، ولكن هذا لا يساعد زوجك...».

«سأكون بخير». سمعا شخصا يركض متوجهها نحوهما، استدارا ولكنها لم تكن زوجة بياترو، كانوا الحارسين الذين رافقا جاييمي وأندرو الى فينيسوها قد عادا.

«اين الرئيس؟ ما الذي حصل هنا؟»  
أرسل بطلب الطائرة، ولكن احدهم قال من القبطان قبل ان يقلع، لقد وجدهم مكبلاً وغائباً عن الوعي. لم ير من ضربه كانت الشرطة على وشك الاتصال بنا حين اتصلت بهم».

«اتصلت بالشرطة؟»

قال بياترو: «إنهم قادمون».

تحرك الرجل المصابة ببطء متأنٍ.

اقرب منه أحد الحراس وربت على يده قائلاً: «ستكونون بخير ليو، لا تقلق. جرح سطحي فقط، سنوصلك الى المستشفى في أقرب وقت».

سأل الحراس الآخر بياترو: «من كان هنا حين أص比ا ليو وبياترو؟ انت؟»

«السيدة اليساندرو كانت الوحيدة التي رأت ما حدث».

نظر إليها الحارسان بعيون جادة ومشككة.

طلبت مني الشرطة ترك الأمر لهم للتحقيق معها».

«من الأفضل ان تصطحبها الى المنزل وتحضر بعض الاغطية».

«ستحضر زوجتي البعض منها الآن».  
امسك بياترو بيد ساسكيا وقال: «سأسير معك، سيدة اليساندرو».

إليقىا زوجة بياترو بعد لحظات. ناولت بياترو مجموعة الأغطية ثم وضعت يدها حول كتفي ساسكيا كالأم الحنون وسارت معها.

«تعالي لستريحي، سأطلب من زوجة ادريانو ان تصنع لك كوب شاي، هذا ما يحب الإنكليز، ان يشربوا الشاي». «الشرطة تريد ان تتحدث معها، فلا تعطوها أي مسكنات يمكن ان تسبب نعاسا او نوم».

سار بياترو حاملا الأغطية، وسارت زوجته مع ساسكيا نحو البيت، قابلهما ادريانو عند الباب، وجهه شاحب ومصدوم قال لساسكيا التي نظرت إليه مرتجفة: «هذا فظيع، فظيع».

«اتستطيع زوجتك ان تحضر لها بعض الشاي؟ سابقى معها». اصطحبت ساسكيا الى الطابق العلوي حيث غرفة أليساندرو.

وقفت ساسكيا وسط الغرفة وبدأت تلتقط ذبذبات قوية تدل على التواصل معه. سارت نحو الطاولة أمسكت فرشاة شعر دومينيكو، التقlette شعرة من عليه ولفتها حول اصبعها بينما زوجة بياترو تراقبها مندهشة.

قالت زوجة بياترو: «لما لا تستلقين يا عزيزتي؟ تبددين متعبة. إنزععي حذاءك واستلقي. سيكون

الأمر على ما يرام سترين. لن يؤذوه، إنه قيم بالنسبة لهم وهو على قيد الحياة».

الالم يعتصرها الان، حتى لو دفعت الفدية هل سيتركونه؟ كم من مرة قرأت عن خاطفين قتلوا ضحاياهم بعد ان قبضوا الفدية؟ يقتلونهم كي لا يتعرفوا عليهم بعد ذلك.

لا! صوت ما بداخليها أذنرها وأمرها. لا تفكري بهذه الطريقة، حدقت في اللاشي». دومينيكوا! أين انت؟

قالت زوجة بياترو. «تعالي يا عزيزتي، استلقي». استلقت ساسكيا في السرير ووضعت رأسها على وسادة دومينيكو محدقة بالنافذة والسماء الزرقاء.

سمعت اصواتا من الخارج، كانت اصوات محرکات القوارب القادمة من القناة ثم اصواتا عالية من اناس يصعدون سالما البيت.

هرعت السيدة بياترو نحو النافذة وقالت: «إنهم رجال الإسعاف والشرطة وصلوا هنا بسرعة». وصل ادريانو حاملا صينية عليها إبريق شاي فضي وفنجان وسكرية من البورسلان الراقي. هل أضعها على الطاولة، سيدتي؟ ام ستشربيه على الفور وهو ساخن؟

لم تكن مهتمة للأمر. ولكنها رأته مهتما لأمرها

المستطاع، أي تفصيل ممكّن أن يفيد التحقيق». «بدأت تروي الحادثة منذ لحظة وصولها ودومينيكو إلى ساحة هبوط الطائرة.

«هل بإمكانك وصف أي من الرجلين اللذين كانا في المروحية؟».

«القطبان كان يعتمر خوذة ونظارات سوداء كبيرة تقطّع معظم وجهه».

«لا بد وأنك لاحظت شيئاً؟»

«فمه رقيق وله شارب، لدي إنطباع بأنه في العشرينات من عمره أو أكبر قليلاً». «سمين؟»

«تحيل، لا استطيع ان اعلم إن كان طويلاً، كان جالساً ولكنه لا يبدو طويلاً... الرجل الآخر المسلّح كان أكبر سنًا. كان يضع نظارات شمسية، أتفه كبير، فمه غليظ، كان عصبياً جداً» ثم ركزت أكثر وقالت: «رأيت يديه... كان يليس قفازات سوداء جلدية... ويضع سواراً ذهبياً حول معصميه».

الرجل الآخر كان يسجل ما تقوله على آلة التسجيل ويكتب ملاحظات أيضاً.

سألتها: «أخبريني مرة ثانية عما حصل؟» أجابت بكل ما تذكره.

«على ما أظن بأنك إنفصلت عن زوجك لبعض الوقت؟»

فجلست في السرير وتناولت منه الفنجان، ابتلعت جرعة فاحسست بالدفء وتناولها لكميّة بسيطة من السكر كان نافعاً لمقاومة الصدمة.

قرع احدهم الباب فتوجه ادريانو وفتح الباب، سمعت همساً ثم استدار ادريانو نحوها وقال: «يمكنك التحدث مع الشرطة الآن سيدتي؟»

أومأت برأسها موافقة، ووضعت فنجان الشاي جانباً. دخل رجلان إلى الغرفة. تفحصت عيونهما الداكنة، كل شيء وحدقت بسأسكيا. أحدهما كان طويلاً في العقد الثالث من العمر، طويل، مشوش القامة. أما الآخر كان أقصر بقليل وملامحه مزعجة. تكلم الرجل الطويل: «من الأفضل أن نتكلم على إنفراد، سيدة أليساندرو». وفتح الرجل الآخر الباب مشيراً للحضور بالإنصراف.

«أتودين ان أبقى معك سيدتي؟

«سأكون بخير. شكراً».

انصرفت السيدة بياترو وكذلك فعل ادريانو. أغلق الباب فتناول الرجل الطويل كرسي وجلس عليها أمام سرير سأسكيا: «انا النقيب روسي. وهذا الضابط أنجلو، انا المسؤول عن هذا التحقيق في الوقت الحاضر. أخبرينا بالضبط ما الذي حدث سيدة ألياندرو، حاوي ان تتذكرى كل شيء قدر

«عامين».

«إذاً، لماذا أنت هنا اليوم؟»

«كنت مقيمة في فينيس، وهو من دعاني... أنا وصديقي كنّت معه... لزيارة المنزل. لم أر هذا المكان من قبل، كنا نسكن في ميلانو. ورث زوجي هذا المنزل بعد ان رحلت..»

«وصديقك؟ رجل أم انتي؟»

«رجل، جايمي فورستر، ليس بمعنى صديقي بل رئيس في العمل، اعمل لديه في الحديقة الخاصة في انكلترا. غادر مباشرة بعد الغداء. اعيد الى فينيس بمرافقة أدريانو وإثنان من حرس زوجي. كنت متوجهة لزيارة والد زوجي معه..»

«المصادفة الغربية..»

«إي مصادفة؟»

«أن يكون يوم زيارتك لزوجك بعد فراق عامين هو نفس اليوم الذي يحاول أحدهم اختطافه..»

«اتظن بأن لي يد في الموضوع؟»

«في هذه المرحلة من التحقيق، ليس لدى أي تصور سيدة اليساندرو فقط إستنتاج. ألا تظنين بأنها مصادفة غريبة؟»

«ولماذا أريد ان أخطف زوجي؟»

«إنه رجل ثري جداً، ومن عائلة محافظة، الطلاق ممنوع، وهذا يعني بأنك لن تتالي حريرتك. إن

قابلت أحدهم وترىدين الزواج ثانية. أليس هذا دافعاً قوياً؟»

«لم أقابل أحداً! وحتى لو حصل هذا، ان كنت اريد الطلاق في بـلدي استطيع ذلك. حسب قوانيننا استطيع انتظار خمس سنوات هذا كل ما في الأمر. ولا أطلب موافقته على الطلاق بعد مضي خمس سنوات..»

«ولكن لن تحصل على حقوقك من السيد اليساندرو عندها؟»

«لا اريد مالا منه! استطيع ان احصل على المال الذي يكفيتي..»

حدق بها الرجال: «أتمنى ان تفكّر زوجتي هكذا، وأنت كذلك ايها الضابط؟»

على كل، سيدة اليساندرو من الغريب ان يصاب الحراس وبخطف هو وتخرجي انت سليمة». ثم اضاف بصوت جاف: «يبدو ان هناك الكثير من المصادفات الغريبة، تلاقيت بزوجك صدفة في فينيس، وكانت وحيدة معه حين وصلت الطائرة والخاطفين لم يصطببوا معهم او حتى يطلقا النار عليك..»

«أخبرتك بأن... دومينيكو... زوجي أخبرهم بأنّي سكريتيرة. كان يحاول حمايتها. وبأتمهم حاولوا إطلاق النار على ولكنهم أخطأوا»

تبسم مستهزءاً: «اخطئوا، حظ رائع لك. ولم تكن لديهم أي مشكلة في إصابة الحرث؟» كانت المروحية تقلع حين اطلق الرجل المسلح النار على هذا سخيف، اقول لك بصراحة، لست أنا وراء عملية اختطافه، لا يمكنني ان اتسبب باذية شعرة من رأس دومينيكو! وكيف لي ان اخطط لهكذا عملية؟ لم أكن اعلم حتى من أين ستأتي الطائرة... زوجي من قرر ذلك، واتصل طالباً آياها هكذا فجأة. لم يكن الأمر مخططاً له سابقاً. كان قراراً مفاجئاً. أراد ان يصطحبني لزيارة والده في بادوا..»

«كان قراراً مفاجئنا؟ دون سابق تخطيط؟» «لا، والد زوجي يتصل قبل الغداء مباشرة وطلب منه ان يصطحبني لرؤيته وحينها اقترح دومينيكو بأن نذهب بعد الغداء واتصل بالقطبان..» «انت متاكدة بأن الطائرة اتجهت غرباً؟» «نعم، ألم يراها أحد؟ لا يمكن لطائرة ان تختفي!»

«يمكّن العودة بذاكرتك عن الذي قيل أثناء عملية الخطف؟ هل سمعت أي اسم يذكر؟» «لا... ولكن حصل أمر...»

«نعم؟» «تعرفوا على زوجي وتكلموا معه. اخذو يوجهون

له الكلام،يساندرو، انهض وتعال معنا. هنا ما قالوه..»

«إنه معروف في ايطاليا..»

«نعم، بالطبع إنها حقيقة..»

«ولكن من الواضح بأنهم لم يتعرفوا عليك؟» قالت متعجبة: «ماذا؟»

«قلت بأنهم سألوا عنمن تكونين...»

«آه، نعم، هذا صحيح. قالوا من تكون؟ فقال دومينيكو باني سكرتيرته..»

قال النقيب روسي: «قال لهم، لا أحد، سكرتيرتي..»

كان عليها ان ترکز: «حاولت النهوض، نهضت ثم صرخت. قلت اسما زوجي على ما اظن، رأيت الرجل جاثياً امام دومينيكو ويضع كيساً اسود في رأسه..»

«كيس اسود؟»

«كيس الأحذية، له رباطات، ربطوها حول عنق..»

«آه، نعم، تابعي، مازا حدث بعدها؟»

«حين صرخت، إستدار وأطلق النار ناحيتي وحيثها رميت بنفسي ارضاً تلقائياً، اقلعت الطائرة حينها في نفس اللحظة، وهذا ما دعاهم لأن يخطئوا في هدفه نحوبي، فمر الرصاص فوق

هكذا إذن، وهل يمكنه التقاط افكاره؟  
نعم، في بعض الاحيان.

قال الضابط بلهجة ساخرة: «حسيناً سيدة اليساندرو. ولماذا لا تقدمي لنا عرضًا؟ يمكنك الاتصال به الآن لتعرف اين هو؟»

بثقة كاملة حدقت به وقالت: «سأحاول، ولكن على التركيز، اريد منكما الصمت التام، لا تكلمني او تقاطعني».

وماذا يحصل ان تكلم احدهم معك، ستصابين بهلوسة؟»

سخرية الان أصبحت علينا.

اهراً بي كما تشاء سيد روسي. ولكن الأمر بسيط، أن لم أركز لا يمكنني آن انتاغم مع دومينيكو. انت تعلم بأن الهواء مليء بموجات إذاعية؟ تؤمن بالتلفزيون والهاتف وسعید ببقول الفكرة لأنك تلمس الحقيقة، إذا ما الغير مقبول ان كان البشر يبتلون افكارهم عبر موجات الاثير ليقطّعوا الآخرون؟»

حق بها النقيب روسي ثم نهض واقفاً: «حسناً، اظن بأننا سنذهب الى الطابق السفلي لنتكلم مع الخدم والحرس بينما تحاولين ترکيز تموجات تفكيرك سيدة اليساندرو. سندعك وحيدة لتفعلی ذلك. تعال معي أنجلو».

رأسي تماماً وسمعت زوجي يسأل ان كنت قد تاذيت وكان غاضباً جداً منهم فقلت له اني بخير. لم تذكرني هذا سابقاً. لمعت عيناً النقيب بالشك مجدداً وبدأ يقلب الملاحظات التي دونها زميله وقال: «طلبت منك بأن تخبرني بكل شيء وعن كل ما قيل ولكنك لم تذكرني بأن زوجك سالك ان كنت تاذيت او انك جاويته؟»

«لم يقال... هذا... حرفيًا»

رفع الرجل حاجبيه تعجبًا وقال: «ماذا؟»

قالت هامسة: «لم يكن كلاماً...»

تبادل نظره مع زميله: «لم يكن كلاماً؟ ما معنى ذلك؟»

كانت تعلم بأنهما لن يصدقانها. وما الفائدة من الشرح؟

«حسناً، سيدة اليساندرو» أصر العقيد روسي على المعرفة.

«زوجي وأنا باستطاعتنا... بعض الاحيان... قراءة افكار بعضنا البعض». رأت تغيراً في تعابير وجه الرجل. فأخذت توضح له: «انها الحقيقة! لدينا تناقض، فكري بعض الاحيان، لا تتم هذه العملية دائمًا، ولكن في حال غضبه، او ثورة اعصابه او الخوف... استطيع التقاط ما يحس به».

خرجًا وسمعتهما يضحكان اثناء هبوطهما  
السلام.

كل ما يهمها الآن هو دومينيكو. عليها ان ترتاح قليلاً ل تستطيع ان تعلم اين هو زوجها، تمددت على الفراش وأغمضت عينيها، وركبت عليه حيثما كان. ربما كان يبعد أميلاً. لن تكف عن المحاولة.

فقدت الإحساس بالوقت، وبدت الغرفة مظلمة أمامها، كان الغروب قد اقترب وبدأت حرارة الغرفة تبرد فاحسست ساسكيا بقشعريرة رغم انها مغطاة.

فجأة أحست بشيء ما شعرت بأن دومينيكو يرتحف بريدا ايضاً أكثر منها. برد، عتمة، فكرت بالأمر، وحاولت معرفة ما قد حصل له، لا ليس في العتمة.

إن لا يرى شيئاً، إنتراها الضياع للحظة ثم تذكري بأنهم وضعوا كيساً في رأسه لا بد وأنه مازال موجوداً.

نادته، دومينيكو، هل تسمعني؟ لا بد أنه لم يعد موجوداً في الطائرة، هبطاً في مكان ما، حاولت تصور ما حوله ولكنها لم تستطع تحديد المكان. هبطت الطائرة ودفع بدولينيكو الى صندوق سيارة وأغلق عليه، وهما

هو يتعثر ويترجرج كلما تحرك السيارة. لا يمكنه رؤية شيء ولكنه يسمع أزير المحرك.

السائق كان يقود بسرعة جنونية فوق طريق وعرة المسالك. طريق جبلية، كما تظن. نعم، الرياح تصرفر، طرقات جبلية وعرة. ابطأت السيارة ثم توقفت. سمعت صوت الرياح تصرفر بقوة، أصوات اجراس قطبي الألغام في مكان ما واقرب من ذلك صوت حيوان صغير. فتح صندوق السيارة وجراً دومينيكو للخارج ودفع به الى ممر ضيق، عشب يابس، براز حيوانات. دفع نحو الباب ووقع. اصطدم رأسه بحاطئ.

توقفت الصور وكان شاشة التلفاز انطفئت ولم تعد تشاهد شيئاً.

جلست ساسكيا ووضعت يدها على فمها. لا بد أن دومينيكو قد فقدوعي حين ارتطم بالحاطئ. نهضت من السرير وركضت عبر الغرفة نحو الباب، فتحته ونظرت الى السلام.

النقيب روسي كان يكلم ادريانو وزوجته في القاعة، فنظر الجميع اليها، انتكأت على حافة السلام وبصوت مرتجف قالت: «لقد حطت الطائرة، وصعدا به نحو الجبل».

ساد صمت ثقيل، فاحسست بأنهم لم يصدقواها

غيموم الصيد

قفز قلب ساسكيا وصرخت قائلة: «أنا»، ودفعت بالعقيد جانباً وركضت هابطة السلام. «أنا، أشكرك لأنك أتيت».

«ايطاليا ملينة بالجبال، أي واحد منهم؟»  
«لست اعلم، ولا حتى دومينيكو. اقفلوا عليه صندوق السيارة وقادوه. مازال رأسه مغطى بالكيس، لا يمكنني تصور مكان وجوده». قال النقيب بطريقة ساخرة: «وهو اخبرك بأنه في الجبل؟»

انفجرت باكية وقالت: «لماذا لا تصفعي إلى؟ ولماذا اكذب عليك؟ اريد المساعدة بالعثور على زوجي. اني خائفة. مرعوبة ربما سيقتلوه». صعد النقيب روسي السلام نحوها وسألاها: «وما الذي يدعوك للتفكير بأنهم سيقتلوه؟»

«احسست بهم يجرون دومينيكو من صندوق السيارة ويدفعون به نحو ممر ليرطم بحانط حجري. الطريقة التي يعاملوه بها تجعلني متاكدة بأنهم سيقتلوه».

ساد صمت ثقيل حدق العقيد بوجهها الشاحب والدموع تنهر بغزاره.

غضبت من نفسها لأنها ظهرت مشاعرها هكذا امام شخص من الواضح انه لا يصدق شيئاً مما تقوله او تفعله. رفعت يدها ومسحت دموعها. فجأة فتح الباب الخارجي، ودخل رجل يرتدي لباس رسمي ليعلن عن قدوم زائر. استدار الجميع نحوه.

جداً، أنا، هؤلاء الرجال متوحشون...» ثم نظرت إلى النقيب روسي الذي هبط السالم لي漲ض إليهما. «أنا أخبرك ذلك الرجل باتي استطاع التواصل مع الأشخاص فكريًا؛ إنه لا يصدقني.»

«كنت تقرأين أفكار دومينيكو؟ آه... نعم، بالطبع، لطالما فعلت ذلك.» ثم نظرت إلى النقيب قائلة: «أنها الحقيقة، حضرة النقيب.»

«لا تستطيع إدخال العاب التسلية في الحفلات إلى عمل الشرطة سيدة مون فالكون.»

«أنا لا أتكلم عن العاب! حضرة النقيب، ساسكيتا تتواصل فكريًا، تستطيع إلتقاط ذبذبات من الهواء، أنها صادقة.»

رن جرس الهاتف، أشار النقيب روسي إلى أحد رجاله كي يجيب، قال النقيب بلهف: «عودي إلى السرير سيدة الساندرو. يجب أن ترتاحي. سأطلب طيباً ليراك ليعطيك مهدات تساعدك على النوم.»

«لا، لن أخذ مهدات، يجب أن أبقى واعية في حال...»

قطعت كلامها حين عاد الرجل الذي اجاب على الهاتف متدهشاً.

«سيدي! المقر الرئيسي، ي يريدون التكلم معك، لقد حددوا موقع الطائرة، لقد تم الحصول عليها...»

## الفصل الثامن

فتحت آنا ذراعيها وركضت ساسكيَا لترتمي بأحضانها، ضمتها بعضهما البعض باكيتان. «آه، ساسكيَا، إنها أخبار مرعبة.» كان صوت آنا ناعماً ودافناً كصوت أخيها.

«جرت الأحداث بسرعة، مازلت غير مصدقة!» ونظرت إلى شعر آنا الأسود وعيانها الرماديتان.

«وصلت إلى هنا بسرعة، هل كنت في ميلانو؟» «كنا في بادوا، نزور والدي، كنا ننتظر وصولك مع دومينيكو حين وصلنا الخبر، كان صدمة لنا.»

نظرت ساسكيَا إليها: «هل أخبرت والدك؟ صدمة كهذه ممكن ان تؤدي بحياةه.»

«بالطبع لا، فقط قلنا بأن شيئاً ما اخركموا وربما ستحضران غداً، ثم إخترعنا عذراً وغادرنا. المرضة المسئولة لن تدعه يرى التلفاز الليلة او يقرأ الصحف صباحاً.»

«لم يخبرني دومينيكو بائق في بادوا.» كانت مفاجئة لك. أخبرنا بائق قادمة. كنت متحمسة. آه ساسكيَا... ما الذي حصل؟ هل كنت موجودة؟»

أخبرتها ساسكيَا باختصار، ثم قالت: «أنا خائفة

سالك ساسكيا: «أين؟»

قال النقيب: «ساتي لأتكلم معهم». ثم استدار نحو أنا قاتلا: «ربما ستنتبهن إلى زوجة أخيك، سيدة مون فالكون. ثم سار مبتعدا.

نظرت أنا بغضب إلى زوجها: «غيدو. هذا الرجل وقع وأحمد، تكلم معه».

تجهم وجه غيدو وقال: «حين تنسى الفرصة سيكون لي كلام آخر معه ، ولكن لنحاول التكلم معه بدبلوماسية اولا قبل ان نشن الحرب».

ثم تابع كلامه: «ما رأيك؟ إصلاحي ساسكيا إلى الطابق العلوي وتتكلم معها، وسأرى ماذا سافعل مع النقيب بطريقتي الخاصة. لا نعلم بالتحديد ما يجري هنا، ربما كان الأمر دقيقا لا يتحمل الانتظار».

وضعت أنا ذراعها حول كتف ساسكيا وتوجهتا نحو السلام، نظرت نحوها وفجرت فاه، أغلقت ثانية وانتظرت.

سمعت ساسكيا دومينيكو يخاطب عقلها، ولكن لم يكن يناديها. كان يقول: «كلوديا! كلوديا.

حمل الإسم معه الكثير من الخيالات، كلوديا فورلي، التي كانت سكرتيرته لسنوات، بشعرها الداكن، إمرأة ممتلة بالأحساس، بشفاه حمراء وجسد يلفت الانتظار.

كانت ساسكيا تغار منها، ولكن دومينيكو أصر بانه غير مهم بها.

من الواضح بأن كذب عليها. إنه يقول اسمها بقوه جرحت مشاعرها. كرر الإسم ولكن بدى متأنلا.

بدأت الدموع تترقرق في عينيها وهي تصعد السالم. لم تحتمل الأمر. دومينيكو وكلوديا... حسنا، كانت تشك دائما. وبدأت تصعد الدرج مسرعة، ثم توقفت حين سمعت صوت دومينيكو بقوه.

ساسكيا... أه، ساسكيا... ركزي، استمعي... قولي لهم كلوديا فورلي، ساسكيا... اخفقني الصوت فاستدارت ساسكيا نحو أنا بوجه مرتبك.

سالك أنا: «ماذا هناك؟»، «أه» دومينيكو، ولكن لا أفهم ما الذي يريد..»، «استدارت ونزلت السالم نحو القاعة.

تابعتها أنا وسالك: «عن ماذا تتكلمين ساسكيا؟ يجب أن ترتاحي، أنت مصدومة. يجب أن ترتاحي لن يفيد دومينيكو أن تصابي بالمرض ولا يساعد هذا بالعثور عليه».

سارت ساسكيا نحو الصالة حيث غيدو والمحققون. وقف الجميع حين دخلت.

«ظلت بائق خلدت للنوم سيدة اليساندرو». قالت بهدوء: «يريد زوجي ان اقول لكم شيئاً». قال بصوت غاضب: «آه، ليس ثانية! رجاء سيدى، تاكم من إعادة السيدة اليساندرو الى غرفتها والبقاء فيها، لا أريد ان يقطع مجرى التحقيق كل خمس دقائق بتلك الاقاويل عن التخاطب الفكري، لست مهتماً بكل هذه الأمور. عمل الشرطة يعتمد على اساليب منطقية، نحن نجمع معلومات ومعلومات. ندقق ونعاود التدقيق، سنجد السيد اليساندرو ولكن بطريقتنا وليس من خلال افكارك».

قالت ساسكيا: «كلوديا فلوري، طلب مني دومينيكو ان اقول لك كلوديا فلوري». ضغط على اسنانه وقال: «هكذا إذن. ومن هي كلوديا فلوري؟».

«كانت تعمل عند زوجي، تزوجت وتوقفت عن العمل، هذا كل ما اعرف عنها».

رفع النقيب روسى يديه وقال: «وما عساي ان افعل؟ اعتقلها وأسألها هل خطفت زوجك؟» وقف غيدو. وضع كوب الماء جانبها وقال: «حضرت النقيب، كلوديا فورلي تزوجت من رجل سرديني...».

أدار النقيب رأسه بسرعة قائلاً: «سرديني؟»

تلاقت نظرات الرجلين وهرا رأسيهما، وبصمت استخلص الجميع نفس الفكرة. الخطف هي عملية كسب الرزق في سردينية خصوصاً بالنسبة للقراء، تقليد معتمد.

تابع غيدو: «قابلته الصيف الماضي. كان يعمل في الفندق. اخبرني دومينيكو بأن هذا الشخص اتى من الجبال وعائلته ترعى الاغنام». قال النقيب روسى «هل هم كذلك؟» وبدى عليه الارتكاب.

سأل غيدو: «بعض الاشخاص من الجبال متورطين بعمليات خطف ليس كذلك؟» ثم تابع: «اتعلم، ليس لكون كلوديا تزوجت من رجل من هذه الطبقة. ولكن المثير في الأمر السرعة باتمام الزواج. لم يتسع الوقت حتى لأن يتعرفا على بعضهما البعض جيداً».

سأل النقيب: «افتراض بائق لا تعلم اسم هذا السرديني؟»

حرك غيدو رأسه نافياً وقال: «ولكن دون شك مكتب دومينيكو يمكن ان يقوله. حين تزوجت كلوديا لا بد وأنه ذكر في ملفها. رغم أنها تركت العمل فلطفها لا بد وأن يكون محفوظاً، لأنه في بعض الأحيان يرجع الموظفون الى عملهم السابق لهذا يظل دومينيكو يحتفظ ببعض ملفات الموظفين».

اجاب الطبيب: «فقط اريد الاطمئنان عن مدى تقبلك للصيادة وما الى ذلك». «انا بخير».

«اريد ان اخذ ضغط الدم سيدتي..» مدت يدها مستسلمة، قالت: «لا اريد ان اخذ اي دواء. لا اريد ان انام».

«لن اكتب لك اي حبوب منومة. فقط مسكنات تساعدك على الهدوء، لن تؤذيك».

قالت آنا: «انها فكرة جيدة..» «ومن المفيد ان تبدللي ملابسك، ستشعرين براحة اكثر سيدتي. ان احتجت لي فقط إستدعيني. طاب مساواوك وأتمعني ان تصلك أخبار جيدة قبل حلول الصباح».

حين غادر الطبيب سألتها آنا: «اتودين ارتداء ملابس النوم؟»

«لم اجلب معي شيء». قالت آنا: «ملابسك جميعها هنا». وشعرت آنا بمفاجيتها. تابعت: «الم بخبرك دومينيكو؟ كل ما تركته يوم رحلت... وضب وأحضر الى هنا. اغراضك في الغرفة المجاورة، سأحضر لك لباس نوم».

عادت آنا وبيدها ثوم نوم حريري. وساعدت ساسكيا في تبديل ملابسها وأوتها الى فراشها

قالت آنا: «وشيء آخر. لسنوات كانت تلاحقني وتحاول لفت نظره إليها. وحين تزوج ساسكيا كانت صدمتها كبيرة. ثم افترق عن ساسكيا فعاودها الأمل. ولكن دومينيكو لم يكن معجبًا بها. ومع الوقت تغيرت حتى قبل ان تقابل ذلك الرجل في سردينيا اثناء عطلتها. كانت تشعر بالملارة وتعطي ملاحظات فيها مرارة تزعج بقية الموظفين. لم تعد تنتظم بعملها وتهتم كما كانت في السابق وحتى لو لم تستقبل كان دومينيكو يفكر بطردها».

قال النقيب: «سنحضرها على الفور». وترك الغرفة.

كانت ساسكيا متكتة على كرسي متube، ترجف. اوما غيدو الى زوجته ليلفت إنتباها نحوها.

قالت آنا: «تعالي الان، السرير يانتظارك».

في الطابق العلوى استقلت كالطفلة. اغمضت عينيها، الغرفة هادئة ودافئة. اصغت ساسكيا للهدوء. لا شيء يأتيها من دومينيكو الان فاستسلمت لاغفاء بسيطة.

قرع الباب فانتقضت من غفوتها، لم تكن اخبار عن دومينيكو. إنه الطبيب الذي أرسله النقيب روسي.

قالت معتبرضة: «لا اريد طبيباً».

وغرقة في النوم، لم ترتد ثياب الفوم مازالت بثيابها، بدت شاحبة، المسكينة قلقة على أخيها كقلق ساسكيا.

كم كنت أنانية، كان علي أن افكر وأن أضع نفسي في مكانها، لقد كانت متعاطفة معه وتشكل مصدر قوة في الوقت الذي كانت فيه بحاجة لإنهايار والبكاء.

فتحت أنا عينيها ونظرت إلى ساسكيا.

قالت ساسكيا: «لا بد أن جسدي يؤتيك من النوم هكذا».

شعرت وكأني أنام أرضًا منذ ساعات. ماذا عنك؟ كيف حالك؟ لقد تحسن لون وجهك، إنها السادسة صباحاً، وما أريده الآن فنجان من القهوة السوداء الثقيلة، ليعطيوني بعض النشاط، وماذا عنك؟ «وانا ايضاً».

نهضت ساسكيا بعد أن خرجت أنا وتوجهت نحو النافذة تشاهد ما يدور خارجاً.

عادت أنا مع ادريانو الذي كان يحمل صينية ممتلئة وضع عليها ابريق القهوة وبعض الرقائق والمربى وعصير البرتقال الطازج.

علقت أنا: «وجدت ادريانو في المطبخ، لا أظنه نام على الإطلاق».

«نعم، اشكرك، هل سيخبرونا ان حصل أي جديد؟ لا بد وأن شيئاً ما قد حصل حتى الآن... أنا، استطعيم النزول وسؤال غيره عن المستجدات؟»

«لا أريد ان اترك وحيدة يا عزيزتي».

«انا بخير، اعدك، سابقني في السرير».

«حسناً، طالما انك وعدتنـي».

حين خرجت، اغمضت ساسكيا عينيها وركبت ولكن لا يوجد شيء، وراودها شعور مرعب ماذا لو مات دومينيكو؟

الصدمة جعلتها تشعر بالبرودة. كانت ترتجف بعنف. تمنت ان لا يموت. ربما كان نائماً، لقد حل المساء وهبط الليل. وتلقى صدمات متتالية اليوم، لا بد أنه منهك القوى.

لم تستطع النوم، سرتلاح فقط حتى عودة أنا بالأخبار، لم تكن تشعر بالنعاس، على أي حال وليس متعبة.

بعد وقت فتحت عينيها مفاجئة بروية النور يملا الغرفة، إنه النهار.

نهضت من فراشها وحين همت بالوقوف شاهدت أنا تنام على الأريكة الملاصقة للسرير متقوقة

«كان عليك ان تناول ادريانو. ان مرضت لن يكون ذلك من مصلحة أحد.»

«لا أنام كثيرا سيدتي على أي حال.»

قالت أنا: «حسن الحظ أنه لم يتم طوال الليل لأن بذلك استطاع الاستماع الى مكالمات النقيب طوال الليل.»

«سمعت بالصدفة بعض المكالمات سيدتي.»

«حسنا، هل الذي سمعت كان مشجعا؟»

«يبدو ان كلوديا وزوجها انتقلوا الى جبل دولومات بعد ان رحلت.»

«دولومات!»

«تماما، يمكنك رؤية المنطقة من هنا عبر النافذة عبر وادي مجرى البو. لطالما تزلجت هناك. لديهم منتجعات رائعة.»

«أنا، ان كانت كلوديا تسكن هناك في الجبال ربما هي وزوجها متورطان بعملية الخطف. بالطبع لا يمكن ان تكون كلوديا ... ليست مجرمة، دومينيكو يعني لها الكثير، اعلم ذلك، منذ لحظة رؤيتها الى المرأة الأولى كانت الغيرة تستغل بها لدرجة أنها كانت تريد قتلي.»

«انا متاكدة من هذا... وإن كنت تبحثين عن دافع... هذا هو، الغيرة، المراة. استعملني ذكاءك يا ساسكيما. بالطبع أنها كلوديا.»

«شيء واحد لا أفهمه، لماذا لم يتصل أحد طالبا فدية؟» توترت أنا وتمللت  
 «أنا؟ هل طلب فدية؟ طلب فدية أليس كذلك؟ كم كانت؟ ومتى؟ لماذا لم تخبريني؟»  
 «قلت لغيفو باني لا استطيع كتم الأسرار. لم يرغبوا بإخبارك، وجدوا الطلب في الطائرة ملصوق على النافذة ورقة كبيرة مكتوبة بأحمر شفاه بالأحرف العريضة.»  
 «وكم كانت؟»

«ليس لدى أدنى فكرة. فضل رجال الشرطة إبقاء الأمر سرا. وقال النقيب روسي ربما كان هذا الطلب الأول، على كل حال، الطلبات الأخرى ستتوالى.»

«وهل... هددوا؟» عما يمكن ان يفعلوه... به؟ إن لم ندفع لهم الفدية؟ فشعرت بالخوف فحركت أنا رأسها نافية.

«يا للهول، كم أتمنى ان اعلم بما يدور الآن، وما يفعله المحققون. أين النقيب روسي؟»  
 قالت أنا: «المحققون سيذهبون الى عنوان كلوديا الأخير للتدرك.»

ناول ادريانو فنجان القهوة لساسكيما وقال: «ارجوك، اجلسني سيدتي، تناولي شيئا، لم تأكلي منذ وقت طويل.»

كانت أنا وغيدو يتحدىان. من الواضح انهم تناولا حماما ويدلا ملابسهما.

سالت ساسكيما: «أين النقيب روسي؟»  
قال غيدو: «غادر منذ ساعات، تبدين رائعة ساسكيما».

«شكرا، الى اين ذهب النقيب؟ هل ذهب الى الجبل للبحث عن دومينيكو؟»

لم يقل شيئا، فقط خرج، ليس كثير الكلام.  
عند المساء وقفت ساسكيما فجأة حين سمعت صوتا في الخارج. الصوت الذي سمعته بالأمس والذي يرسل الأمل الآن.

قالت ساسكيما: «انه صوت طائرة». هرعت أنا وغيدو نحو النافذة، لكن ساسكيما هرعت الى خارج الباب الرئيسي وتوجهت نحو باحة الهبوط. وقبل ان تصل خطط الطائرة.

كانت المراوح مازالت تدور، لكن الرجال أخذوا يخرجون منها منحني الرأس راكضين.  
أخذت علينا ساسكيما تفحصتهم جميعا واحدا تلو الآخر، الجميع كان يرتدي الثياب العسكرية والأسلحة متقدلة.

كان هناك رجل واحد لا يرتدي الزي العسكري. للحظة لم تتعرف عليه. كان ملطخا بالوحش وذقنه ملحية. ملابسه ممزقة ومتتسخة، شعره أشعث.

«ولكن... بالتأكيد لن يحتفظوا به في منزلهم؟ سيكون هذا غباء، وكلوديا ليست غبية».  
«على الشرطة ان تبدأ بمكان ما، اجليسي وتناولى شيئا لتاكليه ساسكيما».

اطاعتها، فخلست على طاولة المائدة وأمسكت بکوب القهوة وتناولت شطيرة مربى وبدأت تقضمها.

اقترحت أنا: «لماذا لا تأخذين حماما؟»  
«اظنني ساقفل، نعم».

«وتذكرى، لديك خزانة مليئة بالملابس الجميلة لترتدي منها». «إن كان مقاسى ملائم الأن».  
«لقد خسرت من وزنك، ادريانو على زوجتك ان تطعمها جيدا حتى تعود لارتداء كل ملابسها الجميلة».

ابتسمت ساسكيما وتوجهت لتأخذ حمامها.  
بعد عشرين دقيقة التقت أنا في الصالة بعد ان اغتسلت وارتدى ثوبا غاية في الاناقة وتعطرت وسرحت شعرها.

راقبها رجال الشرطة الموجودين في الصالة، بينما كانت تهبط الدرج بعيون مقدمة ومعجبة بقوامها الرشيق، وحذاها العالي.  
لم ترتدي ساسكيما شيئا كهذا منذ عامين، فاستمتعت بنعومة القماش.

رأى كل هذا وهي ترکض نحوه، التقطرها دومينيكو بيديه وضمها إلى صدره، لم تستطع التنفس، هذا لا يهم، انه على قيد الحياة، وبأمان.

## الفصل التاسع

قال دومينيكو: «لم أر كلوديا، حين كنت محتجزاً في كوخ الرعاة في الجبل». بينما كان يشرح ما حصل له في الصالة بعد أن غادرت الشيرطة التي ستعود لأخذ أقواله بعد أن يستريح قليلاً مع عائلته.

أنا وغيدو أرادا سماع القصة كاملة منه.

سالت ساسكيما: «وكيف عرفت بأنها متورطة؟» «تعرفت على صوت زوجها، حاول البقاء بعيداً عن قدر المستطاع، ولكنني سمعته يتكلم خارج الكوخ سلفادور أغنيلي خطط للعملية، إنه شخصية مسيطرة، دميم المظهر، ولكن لديه نظرة جامدة مغططيسية، لديه جنون، لكن النساء يجدنه جذاباً، ربما لأنه يعذبنهن».

قالت ساسكيما: «أما أنا فلا، لا استمتع بذلك، ولا أعرف أحداً هكذا».

«حسناً، لديه شقيقان أصغر منه وتحت إمرته وكلوديا أيضاً منذ اللحظة التي التقى به، وأبن عمها كارلو الذي كان يخدم في القوات الجوية يستطيع قيادة طائرة مروحية، هذا كان ضرورياً، كان عليهم أن يجدوا أحداً ما

يستطع قيادة الطائرة فالامر كله متعلق بهذا. كانوا يعلمون جيداً يان إنخراط الحرس الشخصي لدى مستحيل بالطرق المعتادة والفضل التركيز على عنصر المفاجة. لم اتوقع ان يهاجمني قائد طائرتي الخاصة او رجالى. كارلو فورلي طيار لامع ولكن لديه مشكلة بالمجنعات. كان قد صرف من الخدمة في القوات الجوية، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات لقيادة طائرة وهو غير واعي. فتحطم وقتل عدداً من الاشخاص. تالم كثيراً من هذه التجربة وكان يعقد الآمال على هذه المغامرة مع أغنيليو.

سالت أنا أخاهما: ولكن كلوديا وافقت على هذا الأمر؟ كانت تعلم بما يدور؟ «ما من شك في ذلك. اخذوا كل المعلومات منها. تعلم كل خصوصياتي وتحركاتي، بإمكانها ان تدخل على الحاسوب الخاص بي، وتعلم كل المصطلحات، والأهم انها تعرف قائد طائرتي الخاص لوكا.

زارته في مناسبات عدة وحين خرج من الغرفة زرعت جهاز تنصت في هاتقه، بحيث اني حين اتصل به لأعطيه الأوامر يعلمون بها. كانوا اذكياء، لم أشك بذلك. معاً هي وأغنيليو كانوا فريقاً خطيراً. خططوا لهذا منذ شهور، لم يرتكبوا حماقة

الاستعمال وفي حال وصلت الشرطة الى كلوديا لديها الدليل على مكان توأجدها بالأمس». «ولكن كيف علموا مسبقاً بأنك ستتصل بقائد طائرتك وتطلب منه ان يقلك الى بودوا؟» نظر دومينيكو اليها بطرف عينه وقال: «حسناً، نعم، لقد علموا، اتصلت بالقططان يوم رأيتكم في الأكاديمية صباحاً وقلت له ان يستعد بعد ظهر الغد وباتى لاصطحابي».

«اعني بأنك انت من اردت ان تأخذنى لوالدك؟ لم يكن قراراً مفاجئاً؟»

«اعلم كم يعني له ان يحظى بفرصة لقائك، وان يعتذر منك».

سالت أنا: هل اخبرت قبطانك بأن ساسكيا قد عادت وستأتي معك؟

«لم اذكرها. فقط قلت اريد الذهاب الى بودوا بعد ظهر الغد. فذهبت كلوديا الى سوق في فيرونا لتشتري جينا وخبزاً وتناولت الغداء هناك في مطعم مزدحم، وتأكدت بأن العديد من الاشخاص شاهدوها وتحدثت معهم، زوجها وأخوه، ذهبوا لصيد السمك. نصبوا خيمة على ضفة النهر في الصباح الباكر، بقي أغنيليو هناك وتسلل شقيقاه بالشاحنة القديمة لتنفيذ مهمتهم. ضربوا قبطان الطائرة وسرقوها، اختطفوني وأخذوني نحو وادي

في الواقع كان لديهم طعاماً كثيراً وشراباً يكفي لأسبوع وأجبرت كلودي على عدم الاقتراب من الكوخ. ولكنها لم تكن بعيدة. فقط على بعد أميال، وحين حدد منزل أغنيلي احضروا طوافات الشرطة والتي طارت بشكل دائري حول المنزل مستعملين منظار الليل وألات التصوير الخاصة بالطلاطم ليأخذوا صوراً لكل بناء معزول.»

سأله غيدرو: «ألم يتبنا ذلك الخاطفين؟»  
«كانت مخاطرة، ولكن الخاطفين توقيعوا أن يتم البحث في الجبال، وخلال التحليق ليلاً بدا الأمر صعباً على الرجال. فما عادوا يعلمون ما يجري. كانوا واثقين بأن دولوفيز ذات مساحة واسعة والبحث يتطلب إسابيع فيها..»

سألت أنا: «إذا كيف استطاعوا تحديد موقع الكوخ؟»

للشرطة جوالين محللين بعثت بهم إلى القرى ليسألوا عن كلوديا وزوجها، ماذا يفعلوا، أين يذهبان، إن رأههما أحد يصعداً الجبال، وبائي اتجاهه. والقرويون يحبون الترثرة. احدهم ذكر بأنه شاهد أغنيلي على الطريق الجبلي. قارنت الشرطة الكلام بالصور فوجدوا كوخ للرعاية هناك، وكان مضاءً ليلاً، مما يعني بأن هناك احداً فيه، وصلوا قبل الفجر وكانوا مسلحين. كنت نائماً

نهر البو وضعوني في صندوق سيارة مخبأة تحت الأشجار وقادوني إلى الكوخ.»

قالت ساسكينا: «ما زلت لا أفهم، كيف وجدك رجال الشرطة بهذه السرعة؟»  
«النقيب روسي، أخبرني بأنه عمل بوليسياً جيداً، مازال غير واثق بالتحاطب الفكري.»  
«ماذا؟ بعد أن اثبتنا...»

«لا يعترف بأننا اثبتنا أي شيء، أخبرته بأنني استطيع التواصل معك بفكري، فضحك وقال: لو كانت زوجته جميلة كزوجتي سيوافقها على كل جنونها، فقط لتبقى سعيدة.»

«ولكن لو لم أخبره عن كلوديا...»  
«يظن بأن الغربة الأنثوية كانت تعمل هنا. كنت تغارين من كلوديا، لذلك ظننت بأنها متورطة بشيء ما، وصادف انك على صواب..»

قالت ساسكينا بغيظ: «آه، حق؟»  
«حسناً، لقد ظلنا من البداية بأنني محتجز في جبال دولوميتز لأن الطائرة وجدت عند سفح التلال. ولكنها منطقة كبيرة، لا يمكن البحث فيها على الأقدام. كما من المفيد معرفة أمر كلوديا لأن ذلك بدأ منطقياً أن يكون من اختطفني أن يكون على بعد مسافة قريبة من منزله، حيث أن الامداد يتم دون أن يثير الشكوك في حال المفاوضات.

حين بدأ إطلاق النار، علمت بأنها الشرطة. كفت في غرفة ضيقة، لم استطع رؤية أي شيء، ولا استطاع ان اخرج، انتظرت فقط. ارتحت كثيرا حين دخلت الشرطة من الباب..  
سال غيدو: لم يقتل أي من الخاطفين؟  
«خرجوا، لم يقتل احد، سيعيشون ليواجهوا المحاكمة».

«وتمكنوا من اعتقال كلودي وزوجها؟»  
نعم، رأيتهم بشكل سريع في مقر الشرطة حين كنت أدلي بشهادتي، صرخت كلودي بوجهي. لم يكن لدي أي فكرة عن مدى كرهها لي..  
ساد الصمت ثم قالت ساسكيا: «ما من شيء ابشر من إنقاذ إمرأة».

تبادل غيدو وآنا النظارات ثم قالت آنا: «حسنا، لقد خرجت من هذه التجربة سليما، على الأقل لم ندفع تلك الفدية الخيالية لاستعادتك..  
لا اظنهم كانوا سيطلقون سراحني لو دفعتهم. كانوا سيتلقوني».

قالت آنا: «انا سعيدة لأنهم لم يفعلوا». وقبلت أخاهما. ثم تابعت: «سنذهب الى المنزل لأطفالنا، ولكن ان احتجت لنا اتصل بنا..».

قال غيدو: «انتم الاثنين بحاجة للسلام والهدوء أليس كذلك؟»

«اظنكم على حق..»

قالت آنا: «لا تنسى زيارة الوالد، هل ستفعل؟»  
لكنها وهي تسير معهما نحو الباب عانقتهما وقالت اقتربت آنا من ساسكيا وقالت لها: «انني سعيدة لعودتكما، اشتقت اليك ساسكيا، لا ترحي ثانية..»

قالت ساسكيا: «شكراً لأنك اعتبرت بي و كنت مصدر قوة في محنتي. لست ادرى ما كنت ساقفل من دونك..»

«حسنا، تاقلمت، تبددين ضعيفة، ولكن قوية..»  
حين انصرفت آنا وغيدو قالت ساسكيا: «يجب ان اتصل بجايامي، وأطلعه على ما جرى، قد يظن...»

«أنك ستبقين معي؟»  
ولكنني لم أقرر بعد، دومينيكو، لا تدفععنى الى قرارات عفوية، الاربع والعشرون ساعة الماضية كانت مأساة مرعبة لنا. سيكون من الحماقة ان اعطي وعدا بسبب ما حدث. المشاكل العالقة بيننا لم تنتهي بعد. آنا لا انتهي الى هذا المكان. نحن اشخاص مختلفون. عالمنا مختلف وتقاليدينا وانتماءاتنا..»

ولتكن تقرأين افكاري رغم ما قاله النقيب روسي. انت من انقذ حياتي، حتى ونحن على

بعد أميال الرابط بينما مازال موجوداً وسبيقي  
دائماً ساسكيا، نحن ننتهي لبعضنا البعض  
مهما قلت لا يمكنك تركي ثانية، لن اتركك.  
«يجب ان تأوي الى الفراش دومينيكو، وتأخذ  
قسطاً من الراحة.» «وستختفين حين استدير؟ أه،  
لا، ساسكيا، اقترح ان نذهب لزيارة والدي.»  
«طلبت الشرطة منك ان تبقى مكانك.»  
«لا أخذ أوامر من الشرطة.»  
«ولكن، دومينيكو...»

«لا تجادلي ساسكيا، اريدك ان تقابلي والدي.  
إستمعي لما يريد قوله. ربما تغيرت نظرتك  
للهامور.»

لم تكن تريدها، ولكن كيف يمكنها ان ترافق  
ما يريد؟ استمرت تنظر إليه وتفكر. انه على قيد  
الحياة، إنه معافى وسامـل...

ذهبا بالسيارة، ادريانو تولى القيادة ويرافقه  
الحرس في سيارة اخرى.

قال دومينيكو: «غدا سأزور ليو وأنطونيو في  
المستشفى، قالت الشرطة بانهما سينجيا، ولكن  
ذلك يتطلب وقتا طويلا.»

لم تكن ساسكيا تستمع، كانت منشغلة بتفكيرها  
وتقاوم القلق والخوف. ماذا سيقول جيوفاني؟  
كيف سينظر إليها؟ هل اخبر دومينيكو عن

الذي حصل في ذلك اليوم في منزل ميلانو؟  
كانت وحيدة في المنزل مع جيوفاني اليساندرو.  
الذي كان في غرفته والخدم مبعدين عن السمع.  
كانت ساسكيا مستلقية في سريرها، وكان طيب  
العائلة يبقيها تحت تأثير آلسكتات، ولكن الجرعة  
الأخيرة كان قد انتهت مفعولها.

بدأت ساسكيا ترتجف وبدأت تهيم بالمنزل، ففتحت  
باب الغرفة التي كانت ستسعد لاستقبال المولود  
الجديد.

كان جيوفاني من أمر يعادلها، رغم ان ساسكيا  
تشاءعت من تحضيرها باكرا، ولكن الرجل العجوز  
تحطها، والآن الألم يعتصر قلبها.

الغرفة الآن تهزا بها، المفروشات البيضاء  
برسماتها الجميلة، العصافير المتحركة فوق  
السرير، والألعاب على الرفوف، والمسابيع  
الخاصة بالأطفال، الستائر الجميلة والسجاد  
الناعم السميك.

كان يجب ان تكون هذه الغرفة الأحب الى قلبها  
لو ولد طفلها سليمان.

الآن لا تستطيع رؤيتها. دفعت بالسرير الى زاوية  
الغرفة لتعطيه لأي كان، ثم فتحت الادراج وبدأت  
ترفرغه من ملابس الأطفال. كل شيء سيذهب الى  
الجمعيات الخيرية.

كانت بدها ترتعش، وبينما هي منشغلة بدخل  
جياني الغرفة.

قال: «ماذا تتعلّم؟»

«أفرغ الغرفة، أريد أن يؤخذ كل شيء منها». «دعني الأغراض وشأنها، لا تلمسي أشياء  
حفيدي. أبعدي يديك عنها. لقد قتلت، إنك لا  
تستطيعين حتى انجاب طفل. لا أعلم لماذا تزوجك  
دومينيكو.»

صعدت من كلامه ونظرت إليه غير مصدقة. تحول  
وجهها إلى قناع من الكراهة.

تابع: «ما كان يجب أن يتزوجك ولدي. قلت له بأنه  
يرتكب أكبر خطأ في حياته، ولكنه لم يستمع!  
قلت له ذلك، من هي؟ من هم أهلها؟ لماذا تعرف  
عنها؟ ليس لديها مال، ولا عائلة، لا شيء، ولكن  
لا، لم يستمع إلى دومينيكو. قال ستنجذب لي أبناء،  
هذا ما قاله. وماذا أعطيته؟ لا شيء سوى العذاب  
والحزن.»

إنها الحقيقة ما عساها تقول» لذلك لم تجاوب  
على الأطلاق. وقفت صامتة، قليلة الحيلة عاجزة،  
مشفقة على الرجل العجوز، يغمرها الحزن الذي  
يوازي حزنه.

صمتها أغاظه، ثم كل ما كانت قد قالته أو فعلته  
في السابق استرجعه. لقد كرهها منذ لحظة ان

رأها. كان رجلاً فخوراً، مهوساً بعائلته، بالماضي،  
مغوراً، وموانياً. لم يكن يفهم لماذا تزوج ابنه بفتاة  
مثلها، حتى حين قال دومينيكو بأنه يحبها أزداد  
غضبه. رفض جيوفاني هذا الحب وغار منها.  
امسک بعنقها وبدأ يضغط بعنف صارخاً  
بووجهها: «أود قتلك، أود قتلك».

لم تقاوم او تحاول الافلات، حالة من الموت  
شلتها. فجأة افلتها ونظر إليها بعينين تقدحان  
شرراً، تعمت بكلمات بالإيطالية ثم دفعها جانبًا  
وهو يتنفس بصعوبة وخرج من الغرفة.  
حين خرج عادت ساسكيَا إلى رشدتها، وبدأت  
تسوّع ما يجري، بأنها مهددة من الرجل  
العجز بالقتل. خافت، ومع الخوف بدأت الثورة  
وإدراك ضرورة فرارها لعدم قدرتها على البقاء.  
قال دومينيكو: «نحن على بعد ميلين من بادوا  
الآن».

جفلت ونظرت ضائعة نحوه: «آه... حقاً؟»  
«سنذهب مباشرة لرؤيه والدي. دار المسئين على  
مسافة قريبة من هنا».

«هل يعلم بقدومنا؟»  
«بالطبع، كلمته من هاتف السيارة منذ عشر  
نقاائق، ألم تسمعي؟»  
«أسفة، كنت افكّر بأمور أخرى».

«لماذا لم تخبريني ساسكيا؟»

«أخبرك لماذا؟» ثم نظرت من النافذة، فرأيت عن بعد بيوت بادوا ومركز كبير فيه أبراج وقبب.

سألت: «ما هذا؟»

«السانتو، إنها مكان مقدس في بادوا، بني في القرن الثالث عشر..»

«تبعد وكأنها تركية..»

«بيزنطي، ربما متاثر بالعمارة في فينيس..»

«تحب أن تسكن قريباً من فينيس، أليس كذلك؟»

«نعم، أحب المكان. أحب أن أسكن وسط المدينة، ولكن في مكان قريب من فينيس..»

بعد عدة دقائق ابطأت السيارة ودخلت عبر بوابة كبيرة.

حينما وصلوا قرب الدار، كانت باستقبالهم إمراة ترتدي رداء أبيض وقبعة.

قالت المرأة: «إنه ينتظركم بفارغ الصبر، رجاء لا تطيل الزيارة، إنه متخصص جداً والإثارة غير جيدة لصحة قلبك..»

قال دومينيكو: «سأكون حذراً، هذه زوجتي، ساسكيا هذه هي السيدة رويفير..»

قالت المرضية: «سارا فتكما إلى غرفته بلاطمتنان عليه، ثم أعود بعد عشر دقائق..»

بعاها عبر القاعة الكبيرة، ثم داخل ممر عريض.  
توقفت المرضية أمام أحد الأبواب وقرعته.  
«دخل..»

أخذت ساسكيا نفسها عميقاً حين عرفت الصوت، ونبرته الحادة. لا يمكنها أن تنسى صوت جيوفاني أليساندرو. الخوف جعلها متعبة.  
فتحت المرضية الباب وقالت بفرح: «ها هما، سيد أليساندرو، بامكانك التوقف عن القلق الآن. قلت لك بأنهما سيأتيان في أي وقت اليوم. ولكنني أخبرتهما بأنهما لا يستطيعاً المكوث طويلاً، لا يجب أن تتبع نفسك..»

لم تستطع ساسكيا الحراك. كان دومينيكو يراقبها.

قال بصوت منخفض: «لا تقلقي، سأكون معك..»  
نظرة واحدة نحو جيوفاني صدمت ساسكيا، نسيت خوفها واجتاحتها شعور بالشفقة على جيوفاني.  
كان على حافة الموت. ما من شك في كل ما قاله لها دومينيكو.

غادرت المرضية الغرفة وأغلقت الباب بهدوء وراءها.

سألت ساسكيا جيوفاني: «كيف حالك؟»  
تحركت شفتيه وسمعت كلمة واحدة.

لا تلم نفسك لاي... لاي سبب كان...  
«انا سبب رحيلك».

كذبت: «لا.. كنت سأرحل في كل الاحوال». وكانت تلك الحقيقة

«كيف انسى كيف تهجمت عليك؟»

«لم تكن على ما يرام، كنت تحت تاثير الصدمة بعد... بعد...» واغرورقت عينها بالدموع.

شد جيوفاني على يدها وقال: «وكان ذلك انت. ما قلت لك كان فظيعا وغير صحيح، وكانت أعلم بذلك اقوله». كانت تمررين بظروف صعبة، ومصدومة مثلي. لا عذر لدلي فيما فعلت، ضربيني الجنون لفترة والملائكة على كل شيء. اردت ان اقتلك، ثم حين رحلت احسست بالذنب، علمت بانك رحلت نتيجة لما فعلت بك. كان يتحتم على انا البحث عنك ولكني أصبحت بذبحة قلبية في نفس اليوم».

«أخبرني دومينيكو، وأنا جد آسفة».

نظر الى ابنه وقال: «كنت تسألني دائماً ماذا فعلت او قلت لها حتى رحلت، لم استطع اخبارك. الان عرفت»، تغيرت ملامح وجهه وقال: «قلت لها بانتها السبب في خسارة الطفل. نظرت الى وجهها الشاحب واملتها زاد من غضبي. اردت ان اؤذنها لا اذكر تماماً ماذا فعلت... ضربتها، هزّتها... اعلم، فقدت السيطرة على نفسي وجن جنوبي ثم

«سامحيني...»

لم تتردد، قالت هامسة: «نعم». أمسكت بيده وضغطت عليها، انه منهك، اغمض عينيه.

احضر دومينيك كرسيا وليس كتفها وطلب منها الجلوس. جلست وهي ما تزال ممسكة بيده جيوفاني. احضر دومينيك كرسيا آخر وجلس ينظر اليهما.

قال: «دامينيكو أخذ وقتاً في البحث عن زوجة. كنت غاضباً منه، كان هناك العديد من النساء المناسبات... فتيات جميلات من عائلات جيدة. لماذا لم يتزوج من إحداهن؟ كانت السنين تمر، وكانت أخاف أن أموت قبل أن أرى حفيداً منه، آه، بنتي لديهن اطفال، ولكنني أريد حفيداً من ابني، أريد لإسمنا أن يستمر. إسم عائلتنا عمره ألف سنة. لا يجب أن يموت. ثم أتى بك الى المنزل». توقف عن الحراك وبدأ يتنفس بصعوبة. بدا مريضاً جداً وكأنه سيموت في أي لحظة. ثم نظر الى ابنه مبتسماً وقال: «كنت ارتاح، الكلام يتعيني».

«لا تتكلم أبي».

«يجب ان اتكلم، ربما كانت المرة الاخيرة التي تسجن لي، لا اريد ان اموت وضميري معدب».

«ما من داع لتأنيب الضمير. ليس لدى أي مشكلة».

عدت الى وشدى وخرجت دون ان اعتذر. هذا سبب رحيلها دومينيكو انا طردتها».

كان وجه دومينيكو جاما خاليا من التعبير يصعب عليه التفكير، لم يخطر في بال دومينيكو ان يكون جيوفاني قد اعتدى عليها بالضرب. «لهذا السبب كانت خائفة من القدوم لرؤتك».

لم تكن ساسكيا تكره الرجل العجوز، لم تكن الكراهية في طبعها، ولكنها تصرفت تبعاً لكراسيته، وبما انها علمت بأنه لم يعد يكرهها، وبما تابع على معاملته لها أحسست بأن غضبها وخوفها إختفيا، قالت ساسكيا: «قلت باني اسامحة، وعنيت ذلك».

«هل بإمكانك نسيان الأمر ايضاً؟»

«لا تدع كل اللوم على والدك ما قاله و فعله يومها لم يكن السبب الوحيد لرحيلي!»

«ولكن ما فعله كان الضربة القاضية!»

«كان الحافز، كان الشرارة، كنت سأرحل على أي حال، دون ذلك، ولكن ليس يومها».

«عاملك الجميع بطريقة سيئة. وكان ذلك بسببي، بناتي يأخذن الأوامر مني، لو كنت رحبت بك، لكن فعلن الشيء نفسه».

فتح الباب ودخلت المرضة: «آسفة، ولكن على ان اطلب منكم المغادرة الان». ثم اضافت: «والدك متعب والزيارات تتعبه». امسك جيوفاني بيد

ساسكيا وقال: «هل ستلتدين ثانية؟ هناك الكثير اريد ان اقوله لك».

أخذ دومينيكو المبادرة وقال: «سنعود غداً ألبى». لم تستطع المجادلة ساسكيا خصوصاً الان امام جيوفاني، فانحنت وقبلت خده وتبتعدت دومينيكو الى خارج الغرفة.

«لا استطيع القوم ثانية، سأعود الى انكلترا..»  
«ولتكن وعدته».

«لم استطع الرفض حين نظر إلى هكذا... ولكنني لا استطيع البقاء هنا».

كرر القول بلهجة هادئة: «وعدته بالعودة غداً». كانت السيارة تنتظر في الخارج. وحين انطلقت بها لزما الصمت. حدقت ساسكيا عبر النافذة، ثم تذكرت بأنها لاحظت خلال زيارتها لدار المسنين، كان الطقس بدأ يميل الى احتمال حدوث امطار وعواصف والآن السماء بدت مكفهرة منذرة بأمطار غزيرة.

ما هي الا لحظات حتى انهر المطر وبدأت السيول في الشوارع. سلسلة برق ورعد اربعاء، قالت: «هل الوضع آمن في السيارة بمثل هكذا عاصفة؟»

«سيتجسس الطقس قريباً، تتغير احوال الطقس سريعاً في هذا الفصل من السنة. عواصف

الربيع ر بما تكون عنيفة ولكنها قصيرة.» ثم اضاف: «نسبيت بذلك تخافين العواصف الرعدية. لا تقلقي لم اسمع بسيارة اصيي بصاعقة برق.» ثم نظر إليها مطمئناً وقال: «انت بأمان معني حبيبي، لا تفكري بشيء». فجأة إنحني دومينيكو إلى الإمام وتكلم مع السائق بالإيطالية، وحين اعتدل بجلسته انحرفت السيارة إلى طريق فرعى يميناً ودخلت في ممر فرعى. انتبهت ساسكيا للأمر، قالت: «إلى أين نحن ذاهبون؟»

«انه فندق، اتناول الطعام فيه حين أزور والدي.» «فندق؟ لن ادخل الى فندق معك.»

«اتفضلين ان نقى في السيارة اثناء العاصفة؟» «اقترح ان نتناول الغداء، ثم نعود ادراجنا حين تنحسر العاصفة.»

«على الأقل سنشعر بالدفء هناك.» ثم اضاف: «انه صغير، ولكن لديهم صالة لطيفة للزوار، وقاعة طعام رائعة. المالك يديرها بنفسه. لقد ورثها، إنها منزل العائلة. ربما لن تلتقي به لأنه يقوم بطهي الطعام، ولكن الطعام جيد. صدقيني.»

«اعلم ولكننا ستأخر بالوصول إلى فينيس، اعلم بأن على البقاء هنا لإتمام التحقيقات مع الشرطة، ولكني أرغب ببرؤية جايimi قبل رحيله.»

قطب حاجبيه وقال: «تبأ على جايimi،» «ما كان يجب ان آتي معك.» «لم يكن ذنبنا ان واجهتنا عاصفة.» «ربما لم يكن، ولكنك لست نادم على الأقل أليس كذلك؟»

ماذا تريدين ان افعل، اتظاهر بأنني لا ارغب بالغدا معك على إنفراد؟» لتهدى من ثورتها، نظرت من خلال نافذة السيارة إلى الخارج. توقفت السيارة أمام مدخل الفندق. ترجلًا من السيارة ودخلًا إلى الصالة مسرعين ينفضان الماء عن ثيابهما.

استقبلتهما امرأة كانت تجلس الى طاولة الاستقبال. قالت: «لم ترك منذ مدة؟ كيف حالك؟ هل قادك هذا الطقس العاصف الى هنا لتختبئ من العاصفة؟ لا ألومك.»

«إنه طوفان في الخارج. ولا يبدو بأن المطر سيتوقف. كنا في طريق عودتنا إلى فينيس. ولكن من المستحيل القيادة بهذه العاصفة.» ثم تابع بهدوء: «آه، لم تقابلني زوجتي أليس كذلك كاترينا؟ ساسكيا هذه كاترينا مانزنزي. هي وزوجها يملكان هذا الفندق. هذه زوجتي ساسكيا.» تقابلنا أخيراً. نحن نعرف زوجك جيداً، بالطبع، لطالما اتي حين يزور والده. كنتما

كانت ساسكيما ترتجف وهي تمشي مع دومينيكو باتجاه المصعد الصغير وحين دخلاه وأغلق الباب قالت: «لن أمضي الليلة هنا معك».

«ماذا ستفعلين، تجلسين خارجاً في السيارة طوال الليل؟».

«ان اضطررت لذلك».

«لا تكوني سخيفة».

توقف المصعد وخرجا الى ممر واسع انيق، كان الجناح في آخر الرواق، له بابان انيقان فرشه جميل فيه صالة، وحمام وغرفة نوم. المفروشات من القرن الثامن عشر ايطالية الطراز. وقفوا في غرفة الجلوس بينما كانت الرياح تعصف بالخارج.

ارتعدت ساسكيما فنظر إليها دومينيكو بسخرية.

قال: «اعترفي، انك تفضلين البقاء هنا على البقاء خارجاً!»

«لن ابقى الليلة هنا معك! زواجنا انتهي».

«لن تعودي الى انكلترا. ستبقيين هنا معي ساسكيما».

لم تعد تحتمل الالم، زواجهما كان مغامرة مجنونة. كانت صغيرة وحمقاء ولا تدرى ما معنى الزواج برجل مثل دومينيكو. اما الآن وبعد ان

تزوران السيد اليساندرو؟ كيف وضعه؟ قال ساسكيما: «وضعه حرج».

قال دومينيكو: «لقد عاش اكثر مما توقعنا بعد النوبة الأخيرة».

سلسلة رعد قوية ضربت خارجاً جعلتهم ينظرون الى الخارج، ثم دخل سائق السيارة والحرس الخاص بهما.

«سيتناولون بعض المعجنات في المطبخ، هذا ما يفعلوه عادة حين يأتون بصحبة زوجك، تريدين ان تتناولن الغداء؟ انا جداً اسفة لدينا مشكلة بهذا... كل الطاولات محجوزة لحفلة خاصة بمناسبة عيد أحدهم، معظم الغرف محجوزة لهم إضافة لصالة الطعام».

«الا يمكننا ان نتددى قبل ان تبدأ الحفلة؟».

«سيكونون هنا بعد وقت قصير، انظر، افضل ما يمكننا تدبيرة هو ان نرسل لكم غداء الى الجناح. إنه فارغ لن تأخذ ثمن الإقامة في الجناح فقط الغداء».

«شكراً، حسناً، اخبري زوجك نريد شيئاً بسيطاً، دجاج مشوي. زوجتي تحب الدجاج».

«بالطبع سأقول له على الفور». وتناولت مفتاح من خلفها وقالت: «هذا مفتاح الجناح. اعتبرا انفسكم في منزلهما».

اصبحت تدرك المشكلة لن تحاول المغامرة ثانية،  
الطفل الذي تعرض للحرق يهاب النار.  
«لا، زجاجنا انتهى دومينيكو لن أعود إليك.»

## الفصل العاشر

«آه، نعم، ستفعلين، اقطنين يأتي سأدعك بعد ان  
اجتمعنا ثانية هذا الاسبوع؟»  
هل حقاً كان منذ اسبوع؟ كم من الامور حصلت  
منذ ذلك الوقت.

«هذا لا يشكل أي فارق.»

لن تدع احساسها تملّى عليها افعالها.  
كانت حياته تتبع نمط اعتاده، المال والسلطة،  
والمجتمع الذي يدور حولها. كيف له ان يستوعب  
ان هذه القفرة النوعية في حياتها كفتاة عاملة  
حين توجد في عالم كهذا؟  
قال دومينيكو بأسى: «الامر يشكل فارقاً بالنسبة  
لي..».

ستة وسبعين وقت طويل ساسكيما، كنت أخاف ان تلتقي  
احدا غيري. حين رأيتكم مع فورستر في الأورا  
ظننت بأنه حبيبك وكنت احترق من الغيرة، ولكن  
حين قابلته، ورأيتكما معا علمت بأن لا مجال  
للقلق كان من الواضح يانه لن يكون حبيبك.»  
لقد اتخذت قرارا حازما بعدم تمكنه من اختراق  
عقلها وقراراتها. لقد سسيطر على حياتها وعلى  
علاقتها بها منذ لحظة ان التقى. كان أكبر منها

حسناً، وله تجارب، واثق من نفسه. كانت بريئة، ساذجة وصغيرة. لم تصدق بأن أحداً مثله ممكّن أن يعجب بها.

كان كلّ منها من عالم مختلف عن الآخر. لا بد وأنه الحظ هو الذي جمعهما معاً في معرض زهور شلسساً في صيف ما. كانت ساسكيا قد أخذت أسبوعاً من أيام شهر «مايو» إجازة من عملها وأتت إلى لندن واقامت في فندق رخيص في بمليكو قريب من ساحة الزهور حيث يقام المعرض. كانت تقف كغيرها تتدافع لرؤية شتول الزهور الرائعة حين وطأ رجل على قدمها بينما كان يتراجع. صرخت ساسكيا من الألم. استدار ونظر إليها وبدا الإعجاب على وجهه. قال: «آسف، هل أذيتك؟» تعرّفت أولاً على لكته الغريبة ثم دهشت بمظهره الوسيم ولونه المتوسط. شعره الأسود وبشرته السمراء وطوله وجسده القوي. أصر على مساعدتها للجلوس على مقعد قريب: «إنزععي حذاءك لنرى أن تسبّبت لك بأي ضرر.»

اعترضت وقالت بأنها بخير ولكن إنحني وأمسك بحذائهما ونزعه من رجليها وتفحص أصابع قدميها.

«ما من أضرار على ما أظن». وأعاد الحذاء إلى

قدمها، ثم وقف مبتسمًا. لم تر ابتسامة كهذه، قال: «دعيني ادعوك لتناول الشاي لتسامحيني على ما فعلت.»

كانت خجولة جداً في البداية، ولكنها بدت مررتاحه حين تكلما عن الأزهار. ثم أكلًا بعض الشطانز وبعض الفريز والكريما. كان بعض من الكريما على راوية فم دومينيكو، أشارت ساسكيا إلى مكان الكريما فما كان منه إلا ان انحنى نحوها قائلاً: «لو سمحت إمسحيها.»

استعملت منديلها ومساحتها له وتنبهت إلى جمال شفتيه. بسرعة سالتة عن بلدته، فقالت له بأنها تود يوماً ما الذهاب إلى إيطاليا وزيارتها فاكد لها ضرورة ذلك. ثم حدثته عن عملها في الحديقة وكم تحبه وكيف أن والدتها دهشت حين اخبرتها عن عملها.

«وماذا قال والدك؟»

«إنه متوفى.»

«آسف، هل لديك أخوة وأخوات؟»

حركت رأسها نافية. «ولماذا اخترت هذا العمل؟» «مجبرة، ليس من السهل أن تجد وظيفة هذه الأيام، ورأيت إعلاناً عن هذا العمل فأعجبني، وأنا سعيدة بقراري، ربما استطعت أن اتقاضى أكثر من عملي في مكتب ولكنني أكره العمل

في المكاتب.» بعدها نظرت الى الساعة ولا حظت بأن وقت العرض قد انتهى، ولا تزيد ان تعلق في زحمة المغاردين، فوافتلت لترحل.

«هل تسكنين في لندن؟» فسرت له وهي تراهم الناس للخروج بأنها هنا فقط في إجازة.

«هل انت في لندن لوحدك؟»

«أمي تذهب كل سنة الى ايستبورن لأسبوعين وهي تكره لندن.» أصرّ على توصيلها الى الفندق بالتاكسى، وشعرت بالاحراج حين أوصلها الى الفندق الرخيص.

قالت: «اشكرك على التوصيلة.»

«وماذا عن الغد؟ ستدتهبين الى تشنلسا ثانية؟»

«اظن باني ساتمشي..»

«اتسمحين لي بمرافقتك، سالقاك غداً عند الساعة العاشرة صباحاً وأصحابك بسيارتي.»

كانت تلك البداية . صدفة جمعتهما تبعها حب جارف لم يترك لها الوقت لتفكير. غرفت دون ان تدري بالحب بغضون أيام. كانت مجونة به.

انتهت إجازتها، وعادت الى منزلها، وعاد دومينيكو الى ايطاليا، ولكنه كان يكلمها كل يوم لمدة أسبوعين.

بعد ذلك ظهر فجأة في منزلها ليقابل والدتها. لم تكن تدري ساسكيا من الذي تفاجأ هي أم والدتها التي لم تتوقع ان يكون لإبنتها علاقة مع

شخص له هذه الشخصية. لم تخبر ساسكيا والدتها بالكثير عنه، ولكن السيدة نيلين كانت ابعد من إبنتها بتقديراتها وأحكم. فقد ادركت من اللحظة الأولى بأنه شرٍ وكانت قلقة على مدى جدية علاقتها. وحضرت ساسكيا من كونه يثير الشكوك.

«انه ليس كذلك!»

«كل الرجال هكذا، لا تكوني بطة غبية صغيرة ساسكيا.»

ليومين كاملين امضيا الوقت دون ان يفترقا، هذه الساعات كانت الأسعد في حياتها، كانت مغمرة حتى أذنيها في نعمة غامرة لا تدري ما تفعل وكانتها منومة.

حين طلب يدها للزواج، لم تستطع الكلام.

امسک بوجهها بين يديه ونظر في عينيها قال: «ساسيكيا؟ اجيبيني... اتوافقين؟» لم تقل شيئاً، ولكن بعد لحظة كانوا يتعانقان ويتبدلان القبل.

حين رفا الخبر الى والدتها، لم تستوعب الأمر، ثم طلبت منها مهلة، لكن دومينيكو كان في عجلة من أمره ويريد إتمام كل شيء في اسرع وقت ممكن.

اعتربت والدتها قائلة: «ماذا عن عائلتك، الا يريدون الحضور؟»

غيابك. كنت مشغولا بمطاردتك. كل لحظة خارج العمل قضيتها في إنكلترا اتبع أي إمكانية مهما كانت.

قرع الباب ودخلت الخادمة تحمل صينية عليها أبريق الشاي وقد أدخلت عربة الطعام وبدأت بإعداد المائدة وتحضير الطبق الأول.

حين خرجت الخادمة قالت ساسكيا: «عليّ ان أكل جايبي وأطلعه على مجريات الأمور».

تضائق دومينيكو وأحس بالغيرة. قال: «بامكان المكالمة ان تنتصر حتى تنهي كوب الشاي على الأقل».

احتسبت القليل من كوبها. فاحسست بالدفء يجري في عروقها.

قال: «أرجوك لا تعودي الى إنكلترا ساسكيا، إبقي، زوري والدي ثانية، الوقت لم يعد يعمل لصالحه».

«لا استطيع. لم اكن يوماً مناسبة في حياتك. كنت سمة خارج الماء وسابقى كذلك. اكره اسلوب حياتك، الحفلات المزعجة، الكلام بالسياسة، طاولات العشاء، والهمس عن اخر فضيحة. انهم إناس فارغون ولا اريد رؤيتهم ثانية».

لعت علينا دومينيكو بالسعادة، وضحك: «اتمنى ان يسمعوك، او رؤية وجهوههم حينها».

قالت ساسكيا: «يجب ان اقابلهم». «والذي موقفية، وأبني لا يغادر ايطاليا، لا اريد زواجا صاخبا. اتريدن ذلك ساسكيا؟»

لم تهتم ساسكيا للأمر. كان دومينيكو يتصرف بطريقته. وهكذا تم الزواج بمراسيم مختصرة وعشاء للمقربين جداً في مطعم فخم. ثم انطلاقاً في رحلة شهر العسل.

احببت ساسكيا الفكرة، ولكنها بدأت تحس بأن دومينيكو يبتعد عنها. كانت تسأله استله ويبغي عليها باقتضاب وشيناً فشيئاً بدت الحقيقة تظهر أمامها.

حين ذهبا الى ميلانو وقدمها الى العائلة، ادركت كم أنه لم يكن يطلعها على حقيقة الأمر كاملة. أحسست بالضياع وخلال ساعات ادركت فداحة خطأها. لا يمكنها التناول مع عائلة البساندرو، وكباره جيوفاني وغورو اخوات دومينيكو وغباء الخدم وانصياعهم لأوامر سيدتهم. كانت تعلم لماذا احببت دومينيكو. ولكنها مازالت تجهل سبب اعجابه بها.

كان دومينيكو يراقبها الآن وكاته صقر في السماء يود الإنقضاض على فار منتظرا لحظة الهجوم ليقتلها. قال لها: «لماذا انت شاردة؟ الا تصدقين؟ لم يكن لدى أي اهتمام بآدھن خلال

شارة صاعقة ولن تعود كما كانت سابقاً. هربت الى انكلترا لتعيد إصلاح حياتها وتجد الراحة والامان بعملها.

«تكلمي معى، حبيبتي».

«لا احتمل المغامرة بحمل طفل آخر دومينيكو.»  
«اعلم.»

«اللتى التجربة كثيرة، لا يمكننى تكرار التجربة، اظننى ساجن ان تكرر الأمر.»

«ان اردت عدم الانجاب، فلا يهم الامر الان.»

«تقول هذا الان فقط لإرضائى، ولكنك لا تعنى». «كنت اظن بذلك تستطيعين قراءة افكارى؟ ان كنت كذلك فإنك تعرفين مقدار حبى لك. احببتك لحظة رأيتك، بالطبع اردت اطفالاً ولكنى اريدك اكثر، وان خيرت بينك وبين ان يكون لي اطفالاً... فساختارك.»

«ولكن والدك...»

«انا لست والدى! لديه هوس بايقاء اسم العائلة مستمراً. انا لا يهمنى الأمر.»

«ولكنك ترى اطفالاً.»

«نعم اردت ذلك، ولكن ان كنت لا تريدين المخاطرة، فما من داع. اخواتي البنات لديهن اطفال ذكور سمعطى اسم العائلة لأحد هم كل ما يهم الان هو انت وأنا.» ثم امسك بيديها وبدأ

«لا اظنهم سيهتمون لما اقوله إنهم يحتقروني.. «إنهم يغارون منك». حدقت به غير مصدقة.

«بالطبع، لقد دخلت الى حياتي نعمة، وكنت كل شيء. كانوا قد غفلوا عنه... شابة، رقيقة، نقية، جميلة. كنت مثلاً لهم جميعاً، فبدت حياتهم فارغة، مملة. اعلم ما يشعرون به لأنى حين رأيتكم للمرة الأولى في معرض شليس لالزهور حدث لي نفس الشعور، كنت معتاداً على نوع من النساء وسنيمت منها، ولكنهن لسن ما ارغب به. قابلتك وعلى الفور احسست بأنى كنت انتظرك طوال هذه السنين.»

«لا تفعل ثانية...»

«لن ادعك ترحلين ساسكيا..»

«لا يمكننى البقاء...»

تجهم وجهه وبدا عليه الغضب والحرمان قال: «حسناً تناولي طعامك.»

بدأت العاصفة في الخارج تهدأ، ولكن المطر ما زال ينهر بشدة. جاءت الخادمة وقدمت الطبق الرئيسي وأبعدت الصحن الفارغ عن المائدة وقالت: «شجرة في الحديقة اصابها البرق فاحترقـت، ولكن المطر اطفأها.»

ارتجم جسد ساسكيا، هي ايضاً اصابتها

متاكدة بأن ما من شيء سيجرحك ثانية». «أحد المشاكل كانت الفراغ، لم يكن لدى عمل، لم يكن يسمع لي بالعمل بالمنزل. وكان من الصعب علىي أن أجد أصدقاء، لا استطيع العيش هكذا».

«سيكون لديك عمل، أريدك أن تعملي مع بياترو، وتساعديه على إعادة تنظيم الحدائق وإعادة حديقة عصر النهضة إلى رونقها ثانية». كانت تنظر إليه غير مصدقة لما تسمع. فتابع: «لا علاقة لك بحياتي العملية، لن يكون هناك حفلات عشاء، لا إجتماعات... سأعمل في مكتبي هنا أو أسافر في رحلات عمل، وستعملين في الحدائق، فهذا عمل يتطلب وقتاً».

اجابت بحماسة: «سنوات، إنه عمل كبير، أما زلت تنوى إقامة حديقة زهور، أم انه كان مجرد كلام؟»

«ساسكيا... حبيبي، لك الخيارات. الا ترين، هذا ما أقوله، أريدك ان تمسكي بزمام الأمور. لا استطيع الحياة من دونك. توقفي عن تعذيبني وقولي بأنك ستعودين لي».

مرت لحظات لليلة امس احست بأنه سيواجه الموت. تلك الأحساس مازالت تقلقها. لو حصل ذلك لما كانت رغبت هي الأخرى بالحياة. أنها تحبه، من

يقبلهما. «آه، ساسكيا... كنت وحيداً من دونك، لم يعد يهمني أي شيء. عودي إلي يا حبيبي». سحبت يديها وقالت: «أنا... لا لا اريد ان افعل... لا تلح علىي... لا استطيع التفكير الآن...»

«ما من داع للتفكير ساسكيا. تعلمين وتركتين عواطفك جيداً وهذه التجربة علمتني كيف ان ما من شيء يهم سوى الإحساس بالآخر». تقدم نحوها أمسك بيديها ونظر في عينيها. «حين كنت بعيدة، كنت اركز فكري عليك محاولاً ان اجدك وتعلمت الكثير عنك وانت بعيدة. حين علمت بوضنك مع أبي، اخواتي والخدم، غيرت كل شيء لكي تعودي وتتجدي حياة افضل».

«مازالت أنا ساسكيا، لست من النوع الذي يناسبك كزوجة».

«انت الزوجة التي اريد».

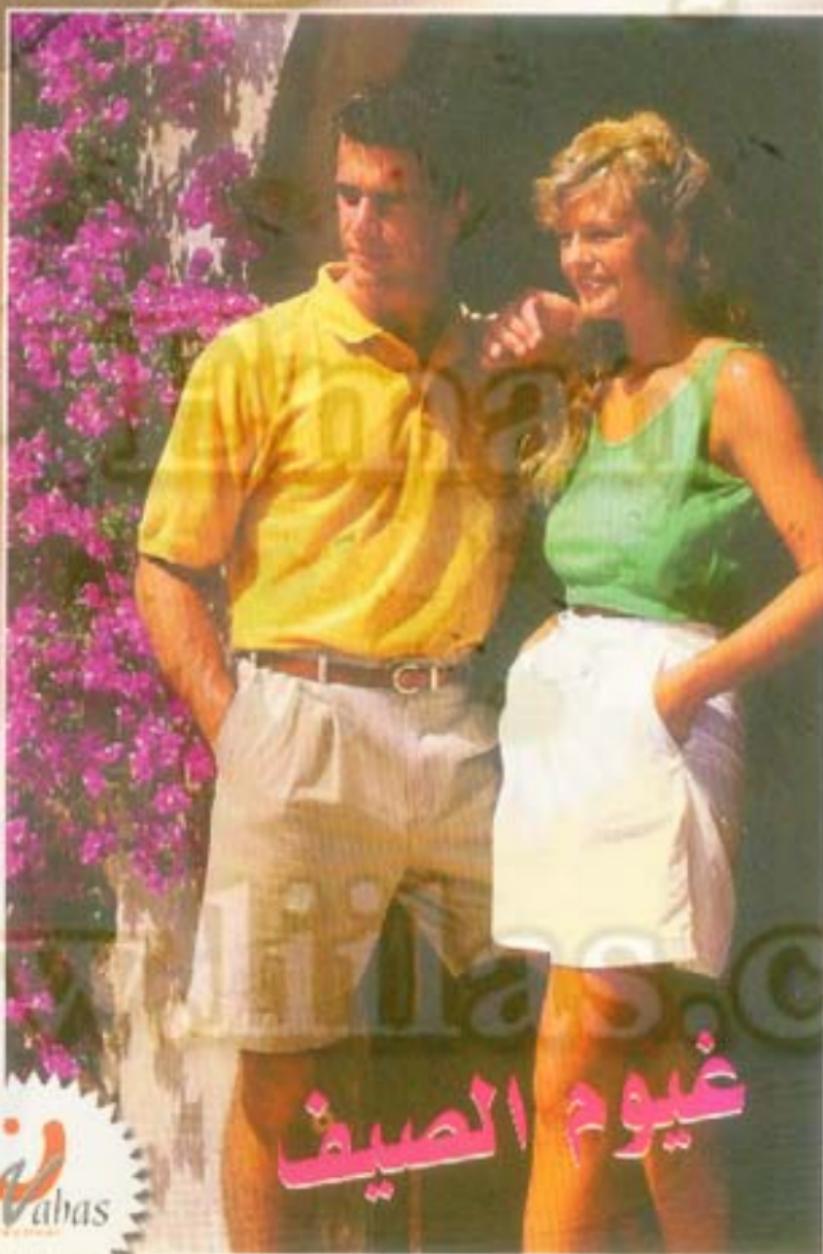
«لا أحب رجال الأعمال، وحفلات العشاء و...» «لا اهتم للأمر، لماذا تظنين بأنني لم اتزوج سابقاً؟ لأنني كنت انتظر احداهن... لم اكن اعلم من حتى رأيتكم في معرض شلسا، كنت المرأة التي اريد، وما زلت. لم يتغير حبى لك. الخطأ كان في السابق هو عدم تقديرني للأمور التي عمّلت بها. حين رحلت واجهت ما كنت اتجاهله حتى حينه. اعدك ساسكيا ان عدت ثانية، سأجعلك

الجنون تركه ثانية، كل ثانية من الوقت ابتعدت  
بها عنه كانت بمثابة عذاب لا يحتمل.  
لم تستطع الكلام، كانت تتنفس بسرعة ونبضات  
قلبها تتسرع وما من داع للكلام بينهما بعد الآن.  
انه يعلم أحاسيسها ويدرك بأنها لن ترحل ثانية.  
ضمها إلى صدره وتعانقا بحرارة وحب.  
خارج المطر يهطل بغزاره والرياح تعصف، أما  
داخل الغرفة فجمعهما الامان والسكينة والراحة  
التي كانت تبحث عنهم، والحب الذي وجد سبيلا  
الصحيح بينهما.

تمت

١١٧٧

١١٧٨



غروب الصيف

مساء عن دارم. النحاس

ن  
Vahas

# غيموم الصيف

لم ينس دومينيكو يوماً زوجته ساسكيا التي  
تركته وهربت بعد ما فقدت طفلها. بحث عنها  
في كل مكان ليعرف السبب الذي دفعها  
للهرب، فهو يحبها وما زال حتى الآن، الى ان  
لمحها صدفة في مسرح في فينيس. فتبعها  
من مكان الى آخر حتى وصل الى منزلها،  
لكنه لم يعرف سبب هرويها او من الذي تسبب  
به إلا بعد تعرض والده لمرض عضال.

لبنان: ٧٠٠٠ ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ قطعة - المغاربة: ١ دينار -  
قططر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الأردن: ١.٤ دينار -  
النمر: ٨ درهم - مغربي: - سلطنة عمان: ٣ ريال - تونس: ٧ دينار



52-87000-34707-5